المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته H بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل

مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل:
﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].
الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:
أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (1300) كتاب وكراس.
ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.
ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

---

(1) سورة التوبة: 122.
(2) سورة الزمر: 17-18.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الإنسان الحقيقي

أفضل نموذج للإنسان الحقيقي الجامع لجميع صفات الخير هو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله o وقد وصفه الباري عزوجل في كتابه بأخلاقه المثالية حيث قال تبارك وتعالى: Πوَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍO [1].

فقولـه سبحانه: ΠوَإِنّكَO أي يا محمد Πلَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍO الخ ُل ُق بضمتين: السجية والطبع والدين والأخلاق الحسنة والمروءة.

قال رسول الله o: Σبعثتُ لأتمم مكارم الأخلاقP[2].

وقال o: Σما يوضع في ميزان امرئ يومَ القيامة أفضل من حسن الخلقP[3].

وفي الحديث الشريف: Σأكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وخير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن،

---

(1) سورة القلم: 4.
(2) مستدرك الوسائل: ج11 ص187 ب6 ح12701.
(3) الكافي: ج2 ص99 باب حسن الخلق ح2.

وخير الزاد ما صحبه التقوى، وخير القول ما صدقه الفعلP[1].

وقال الإمام الصادق A: Σأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاP[2].

وقيل: Πخُلُق عظيمO أي على دين عظيم وهو الإسلام.

وقيل: هو أدب القرآن.

وقالوا: كان خُلُق النبي o ما تضمنه العشر الأُول من سورة
ΠالمؤمنونO [3].

وقالوا: الخُلُق المرور في الفعل على عادة، والخُلُق الكريم الصبر على الحق وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل، وفي ذلك الرفق والأناة والحلم والمداراة، ومن وصفه الله بأنه على خُلُق عظيم، فليس وراء مدحه مدح.

وقيل: وإنك لعلى خُلُق عظيم بحكم القرآن، وكل ذلك

---

(1) إرشاد القلوب: ج1 ص194 ب52 في أحاديث منتخبة.

(2) الكافي: ج1 ص23 كتاب العقل والجهل ح17.

(3) بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ Θ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ Θ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ Θ وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مّعْرِضُونَ Θ وَالّذِينَ هُمْ لِلزّكَـاةِ فَاعِلُونَ Θ وَالّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ Θ إِلاّ عَلَىَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ Θ فَمَنِ ابْتَغَىَ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ Θ وَالّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ Θ وَالّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ.

عطف على جواب القسم[1].

وذكر أيضاً في معناها: إنك متخلق بأخلاق الإسلام، وعلى طبع كريم، وحقيقة الخُلُق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب. وإنما سمي خُلُقا، لأنه يصير كالخلقة فيه. فأما ما طبع عليه من الآداب، فإنه الخيم[2]. فالخُلُق هو الطبع المكتسب. والخيم: هو الطبع الغريزي.

وقيل: الخُلُق العظيم: الصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح، والرفق، والمداراة، وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه، والتجاوز، والعفو، وبذل الجهد في نصرة المؤمنين، وترك الحسد، والحرص، ونحو ذلك.

وقيل: سمي خُلُقه عظيماً؛ لأنه ϑ عاشر الخلق بخلقه، وزايلهم بقلبه، فكان ظاهره مع الخَلق، وباطنه مع الحق.

وقيل: لأنه امتثل تأديب الله سبحانه إياه بقوله: Πخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَO[3].

وقيل: سمي خُلُقه عظيماً، لاجتماع مكارم الأخلاق فيه.

ويعضده ما سبق من قولـه o قال: Σإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاقP[4].

---

(1) راجع التبيان في تفسير القرآن: ج10 ص75 سورة القلم.

(2) الخِيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية. وقيل: بالكسر الخلق، وقيل: سعة الخلق، وقيل: الأصل فارسي معرب لا واحد لـه من لفظه. لسان العرب: ج12 ص194 مادة ΣخيمP.

(3) سورة الأعراف: 199.

(4) بحار الأنوار: ج67 ص372 ب59.

وعن أبي الدرداء قال: قال النبيν: Σما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسنP[1].

وقال o: Σأدبني ربي فأحسن تأديبيP[2].

وقال σ: Σإن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهارP[3].

وعن الرضا علي بن موسى A عن آبائه % عن النبيσ قال: Σعليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالةP[4].

وعن النبي σ قال: Σأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا، الموطأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون. وأبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثراتP[5].

---

(1) بحار الأنوار: ج68 ص383 ب92.
(2) بحار الأنوار: ج16 ص210 ب9.
(3) بحار الأنوار: ج68 ص382 ب92.
(4) وسائل الشيعة: ج12 ص152 ب104 ح15920.
(5) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن: ج10 ص86 سورة القلم.

من مصاديق الخلق العظيم

إن هناك أخلاقيات مهمة يلزم على كل مسلم أن يتحلى بها، لكي يكون قد تأسى بصاحب الخُلُق العظيم وهو رسول الله o، من تلك الصفات: التقوى، وحسن الأخلاق، وخدمة الناس؛ فإن هذه الأخلاقيات هي سُلّم وصول الإنسان إلى مراتب السمو والكمال، فيكون إنساناً حقيقياً، وهذه الأمور هي التي تميز الإنسان عن الحيوان، فإن تعمد تركها واتبع الشهوات انحط إلى مرتبة الحيوان، بل كان أضل سبيلاً كما يعبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: Π إِنْ هُمْ إلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاًO [1].

إن للإنسان والحيوان جهة اشتراك هي: أن كليهما جسمٌ نامٍ حساسٌ متحركٌ بالإرادة، حسب تعبير علماء المنطق، وكليهما يشغل حيزاً في الفراغ[2]، كما يعبّر بعض الطبيعيين، ولكن الفرق بينهما أن الإنسان عاقل ناطق، يمكنه أن يختار الأعمال الصالحة التي دلّه عليها العقل، أو أرشده إليها الشارع[3]، وعرّفه بحسنها، كالتقوى والأخلاق والصدق والأمانة وخدمة الناس وغيرها، ويترك الأعمال القبيحة والمضرة، والتي نهاه عنها العقل والشارع، كشرب الخمر ولعب القمار والكذب والغيبة وغيرها. فلنكن أناساً حقيقيين بمعنى الكلمة، وهذا الأمر يستلزم منّا أن نجتهد ونعمل بجميع

---

(1) سورة الفرقان: 44.
(2) هذه عبارة ثانية عن الجسم حيث إنه المتحيز كما ذكروا.
(3) بخلاف الحيوان حيث إن أفعاله ناشئة من غرائزه التي أودعها الله فيه.

ما أمرنا به الشارع، ونتجنب عن جميع ما نهانا عنه.

قال أمير المؤمنين A: Σذللوا أنفسكم بترك العادات، وقودها إلى فعل أفضل الطاعات، وحمّلوها أعباء المغارم، وحلّوها بفعل المكارم، وصونوها عن دنس المآثمP[1].

وقال A: Σبغلبة العادات الوصول إلى أشرف المقاماتP[2].

التقوى قوام الأخلاق

قال سبحانه وتعالى: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌO[3].

قوله عزوجل: ΠأَتْقَاكُمْO يعني أكثركم تقوىً، فمن أراد الرفعة عند الله فليجدّ في أن يكون أكثر تقوى من الآخرين، وكلما زاد الإنسان تقوى زاد كفاءة. منتهى الأمر أن الكفاءة عند أهل الدنيا عبارة عن الكفاءات الدنيوية فقط، وعند الله هي الكفاءات المعنوية والروحية، مضافاً إلى الدنيوية، لأن الإسلام دنيا وآخرة.

قولـه تعالى: Πإِنَّ اللهَ عَلِيمٌO أي بكل أموركم ΠخَبِيرٌO والخبير فوق العليم، لأنه عبارة عن العلم والتجربة، فالذي تعلّم الطب ولم يجرّب لا يسمى خبيراً، بخلاف ما إذا جرب،

---

(1) غرر الحكم ودرر الكلم: ص238 ق3 ب2 ف1 ح4797.
(2) غرر الحكم ودرر الكلم: ص322 ق3 ب4 ف12 ح7481.
(3) سورة الحجرات: 13.

والمراد به في الله سبحانه أنه في غاية العلم والإدراك، فمن أطاعه علم ذلك وجزاه، ومن عصاه علم ذلك وأخزاه[1].

والتقوى[2] هي وقاية النفس وصيانتها من الرذائل والمعاصي، وهي من أهم مقومات الأخلاق المثالية، ومن الفضائل النفسية التي تسمو بالإنسان إلى مراتب العلو والكمال وإلى مراتب القرب من الله تعالى، فالتقوى لا تزيد الإنسان طولاً أو عرضاً، أو ما إلى ذلك من الأبعاد الجسمية، وإنما هي جانب معنوي رفيع.

كما أن الإنسان لا يُدعى إنساناً بلحاظ جسمه وصفاته المادية، بل بلحاظ روحه وأبعاده المعنوية من تقوى وأخلاق وغير ذلك.

قال الشاعر:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وهذه الآية الكريمة: Πإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْO[3] تشير إلى أن الميزان في تفاضل الناس هو التقوى، وإلاّ فهم من

---

(1) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان: ج26 ص131 سورة الحجرات.

(2) الاتقاء: الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى، والتقوى فعلى كنجوى، والأصل فيه (وقوى) من وقيته: منعته، قلبت الواو تاء وكذلك تقاة والأصل وقاة. للتفصيل انظر مجمع البحرين: ج1 ص448 مادة ΣوقاP.

(3) سورة الحجرات: 13.

حيث الخلق سواء.

قال رسول الله o: Σالناس كأسنان المشط سواءP[1].

وقال o: Σالمؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم ويتفاضلون بأعمالهمP[2].

كما تشير الآية إلى أن الإنسان كريم على الله تعالى ما دام تقياً، حيث لا ينفعه نسبه أو حسبه.

فعن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقرA قال: Σجلس جماعة من أصحاب رسول اللهσ ينتسبون ويفتخرون، وفيهم سلمان 6، فقال لـه عمر: ما نسبتك أنت يا سلمان؟ وما أصلك؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله بمحمد ϑ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد ϑ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد ϑ، فهذا حسبي ونسبي يا عمر!.

ثم خرج رسول الله ϑ فذكر له سلمان ما قال عمر، وما أجابه.

فقال رسول الله ϑ: يا معشر قريش، إن حسب المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْO[3] ثم أقبل على سلمان 6 فقال له: يا سلمان، إنه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله،

---

(1) من لا يحضره الفقيه: ج4 ص379 ح5798.
(2) مستدرك الوسائل: ج8 ص327 ب10 ح9568.
(3) سورة الحجرات: 13.

فمن كنت أتقى منه فأنت أفضل منهP[1].

وقول الرسولσ في هذه الرواية لا يدع مجالاً للشك بأن الناس سواسية، وليس هناك ميزان فاضل فيما بينهم إلا التقوى، فلا تمايز في نظر الإسلام على أساس اللون، كسواد البشرة أو بياضها، ولا الغنى أو الفقر، ولا الطول أو العرض، ولا العروبة أو العجمة، ولا غيرها من الفوارق المادية.

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍO [2] والحكمة في الاختلاف في اللون والطول والألسن، إنما هي للتعارف وللدلالة على خلق الله تعالى، حيث قال عزوجل: Πوَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْO [3].

(1) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص147 المجلس 5 ح241.
(2) سورة النساء: 1.
(3) سورة الروم: 22.

الشيعة والأخلاق المثالية

من صفات شيعة أهل البيت % حسن أخلاقهم وشدة ورعهم وتقواهم.

فإن كلمة الشيعة مأخوذة من (المشايعة) بمعنى المتابعة، وهم شيعة أمير المؤمنين علي A وأولاده المعصومين % فيلزم عليهم أن يتبعوهم في أخلاقهم المثالية.

عن أبي عبد الله A قال: Σإن شيعة علي A كانوا خمص البطون، ذُبُل الشفاه من الذكر، أهل رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينونا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهادP[1].

وعن أبي عبد الله الصادق A قال: Σإن أصحاب علي A كانوا المنظور إليهم في القبائل وكانوا أصحاب الودائع، مرضيين عند الناس، سهار الليل، مصابيح النهارP[2].

وعن ربيعة بن ناجد قال: سمعت عليا A يقول: Σإنما مثل شيعتنا مثل النحلة في الطير، ليس شيء من الطير إلاّ وهو يستضعفها، فلو أن الطير تعلم ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلكP[3].

وعن أبي بصير، قال أبو عبد الله A: Σإياك و السفلة من الناسP قلت: جعلت فداك وما السفلة؟ قال: Σمن لا يخاف الله! إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه وعمل لخالقه،

---

(1) الكافي: ج2 ص233 باب المؤمن وعلاماته وصفاته .. ح10.
(2) بحار الأنوار: ج65 ص180 ب19 ذيل ح38.
(3) بحار الأنوار: ج65 ص75 ب15 ح133.

وإذا رأيت أولئك فهم أصحاب جعفرP[1].

وعن مهزم قال: دخلت على أبي عبد الله A فذكرت الشيعة! فقال: Σيا مهزم إنما الشيعة من لا يعدو سمعه صوته، ولا شحنه بدنه، ولا يحب لنا مبغضا، ولا يبغض لنا محبا، ولا يجالس لنا غاليا، ولا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس وإن مات جوعا، المتنحي عن الناس الخفي عليهم، وإن اختلفت بهم الدار لم تختلف أقاويلهم، إن غابوا لم يفقدوا، وإن حضروا لم يؤبه بهم، وإن خطبوا لم يزوجوا، يخرجون من الدنيا وحوائجهم في صدورهم، إن لقوا مؤمنا أكرموه، وإن لقوا كافرا هجروه، وإن أتاهم ذو حاجة رحموه، وفي أموالهم يتواسونP. ثم قال: Σيا مهزم قال جدي رسول الله o لعلي رضوان الله عليه: يا علي كذب من زعم أنه يحبني ولايحبك، أنا المدينة وأنت الباب ومن أين تؤتى المدينة إلا من بابهاP[2].

وعن ميسرة قال:قال أبو جعفر A:Σيا ميسر ألا أخبرك بشيعتنا؟P قلت: بلى جعلت فداك، قال: Σإنهم حصون حصينة في صدور أمينة، وأحلام رزينة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المراءين، رهبان بالليل، أُسد بالنهارP[3].

والبذر: القوم الذين لا يكتمون الكلام.

إن كلمة الشيعة تعنى الأتباع، وقد أطلقت في القرآن

---

(1) مشكاة الأنوار: ص63 الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.
(2) مشكاة الأنوار: ص61 الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.
(3) بحار الأنوار: ج65 ص180 ب19 ح38.

الكريم على أتباع نوح A حيث قال تعالى: Πوَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَO[1].

وأطلقها النبي o على أتباع الإمام عليA وسماهم بهذا الاسم، كما رواه المؤرخون والمحدثون شيعة وسنة في كتبهم، أن النبيo قال: Σيا علي، أنت وشيعتك الفائزونP[2].

---

(1) سورة الصافات: 83 .

(2) (الشيعة) في اللغة: هم الأتباع والأنصار، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وهو من المشايعة والمتابعة، وفي العرف العام أصبح التشيع علماً على من تولى علياً A وبنيه % وأقر بإمامتهم. والتشيع في أصل اللغة هو الإتباع على وجه التدين في الولاء للمتبوع، قال تعالى: Πفَاسْتَغَاثَهُ الّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الّذِي مِنْ عَدُوّهِO سورة القصص: 15. وقال تعالى: Πوَإِنّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَO سورة الصافات: 83. فالتشيع يضمن في معناه الإتباع والنصرة من جماعة لرجل عموماً، ولكن كلمة (شيعة) مجردة لا تعني العموم، وإنما تنصرف في دلالة خاصة إلى الجماعة التي ناصرت علياً وشايعته، وألتفت حوله وأقرت بإمامته، تقتدي به وتجعل لـه مقاماً يسمو على مقام معاصريه من الصحابة. قال أبو الحسن الأشعري: إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً φ ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ι. وذكر ابن حزم الأندلسي: أن من وافق الشيعة في أن علياً φ أفضل الناس بعد رسول الله ι فهو شيعي.
قال رسول اللهν مشيراً إلى علي بن أبي طالب γ : Σوالذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامةP راجع تاريخ دمشق لابن عساكر: ج2 ص442 ح951، وص 348 ح849 و851. والمناقب للخوارزمي: ص62. وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ج2 ص362 ح1139. وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص245 و313 و314. والدر المنثور للسيوطي الشافعي: ج6 ص379. وفرائد السمطين: ج1 ص156.

←

فكان أتباع الإمام عليA يعرفون بهذا الاسم منذ أيام رسول اللهo، فالرسولo هو أول من أطلق عليهم هذا الاسم عليهم. وحيث إن كلام الرسول o وحي من الله تعالى إذ قال سبحانه في القرآن الحكيم: Πوَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى Θ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَىO[1] فتسمية الشيعة بهذا الاسم إنما هو وحي من الله تعالى.

وΣالشيعةP هم المسلمون الذين شايعوا واتبعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبγ وأولاده الطاهرينβ بعد رسول

→

وانظر: كنوز الحقائق: ص92، وفيه عنهν: Σعلي وشيعته هم الفائزون يوم القيامةP. والهيثمي في مجمعه: ج1 ص131. والصواعق المحرقة: ص96. وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي: ب2 ص56. والفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه الديلمي: ج3 ص61.

وفي حديث قال النبي o: Σالسابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهمP، قال: Σمن هم؟P قال o: Σهم شيعتك يا علي ومحبوكP شرح الزرقاني: ج4 ص441 ط دار الكتب العلمية بيروت. وفي حديث آخر قال رسول الله o: Σيا علي، إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطينP الفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه الديلمي: ج5 ص329 ط دار الكتب العلمية بيروت. وفي حديث قال o: Σفاستغفرت لعلي وشيعتهP مجمع الزوائد للهيثمي: ج9 ص172 ط دار الريان للتراث القاهرة. والمعجم الأوسط للطبراني: ج4 ص212 ط دار الحرمين القاهرة.

أما ما ورد في مصادر الشيعة فكثير، انظر: بحار الأنوار: ج36 ص283 و284 ب41 ح106. الإرشاد: ج1 ص41، وكشف الغمة: ج1 ص53.

(1) سورة النجم: 3 - 4 .

اللهv، إتباعاً للرسول الأكرمv حيث قال قبل وفاته: Σإني يوشك أن أدعى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتيP [1].

وقال رسول الله v: Σعلي مع الحق والحق مع عليP[2].

---

(1) راجع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالبA ج2 ص362 ط عيسى الحلبي، وج15 ص179-180 ط مصر بشرح النووي.

(2) وردت عدة أحاديث بهذا المعنى، فقد قال رسول الله o : Σعلي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامةP انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج14 ص321، وترجمة الإمام علي بن أبي طالبA من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج3 ص119 ح1162. وغاية المرام: ص539 ب45. والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج1 ص73 ط مصر، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج5 ص30، وفرائد السمطين للحموييني: ج1 ص177.
وقال رسول الله o مشيرا إلى علي بن أبي طالبA: Σالحق مع ذا، الحق مع ذاP رواه أبو سعيد الخدري، انظر: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج3 ص119 ح1161. مجمع الزوائد للهيثمي: ج7 ص35.
وقالo: Σرحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث درP، انظر: صحيح الترمذي: ج5 ص633 ح3713 ط دار إحياء التراث العربي بيروت. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج3 ص134 ط دار الكتب العلمية بيروت. المناقب للخوارزمي الحنفي: ص56. المعجم الأوسط للطبراني: ج6 ص95 ط دار الحرمين القاهرة. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج3 ص117 ح1159 و1160. مسند البزار: ج3 ص52 ط مؤسسة علوم القرآن بيروت. غاية المرام: ص539. مسند أبي يعلى: ج1 ص418 ط دار المأمون للتراث دمشق.

وقال رسول اللهv: Σستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء الأعلى، وهو الفاروق بين الحق والباطلP [1].

وقالv: Σسيكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطلP[2].

وقالv: Σتكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا - يعني عليّاً A - وأصحابه على الحقP [3].

وتسمى الشيعة بـ(الإمامية) أيضاً، لأنهم يعتقدون بإمامة علي أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر%. وتسمى بـ (الجعفرية) لاتباعهم في الحلال والحرام أئمة أهل البيت %، حيث إنهم % أعلم بكتاب الله، وأدرى بما قاله رسول اللهv. وسادسهم الإمام جعفر بن محمد الصادق A الذي تمكّن من نشر العلوم الإسلامية أصولاً وفروعاً وآداباً وأخلاقاً باستيعاب وشمول أكثر، بما لم تسمح الظروف لسائر الأئمة % بهذا القدر من النشر، والشيعة أخذوا منه A أكثر معالم الدين، ولذا نُسبوا إليه، وأما سائر الأئمة % فلم تتاح لهم الفرصة بذلك المقدار، فكانوا يلاقون الاضطراب، كما في

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب: ج42 ص450 الرقم: 9026.

(2) المناقب: ج3 ص91 باب تعريف باطنه A.

(3) حديث الثقلين: ص2 في ترجمة أبي نصر بن عبد الجبار العتبى.

زمان أمير المؤمنين علي والحسن والحسين %، أو الكبت والإرهاب على أيدي الحكام الأمويين والعباسيين، لكن الإمام الصادق A عاصر فترة أفول دولة بني أمية وظهور دولة بني العباس، حيث اغتنم الفرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة.

كما تسمى الشيعة بـ (الإثني عشرية) لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمة الإثني عشر %، وقد قال رسول اللهv: Σالخلفاء بعدي اثنا عشرP [1].

فالشيعة هم الصيغة العملية للإسلام كما طرحه النبيv وأهل بيته الطاهرون% [2].

قال رسول الله o: Σيا علي بشّر شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أولها طيب المولد، وثانيها حسن إيمانهم بالله، وثالثها حب الله عزوجل لهم، ورابعها الفسحة في قبورهم، وخامسها النور على الصراط بين أعينهم، وسادسها نزع الفقر من بين أعينهم وعن قلوبهم، وسابعها المقت من الله عزوجل لأعدائهم، وثامنها الأمن من الجذام، يا علي وتاسعها انحطاط الذنوب والسيئات عنهم، وعاشرها هم معي في الجنة

---

(1) بحار الأنوار: ج36 ص230 ب41 ضمن ح10.

(2) للتفصيل راجع كتاب الشيعة والتشيع للإمام الراحل (أعلى الله مقامه). وكتاب (الشيعة في القرآن) لسماحة المرجع الديني السيد صادق الشيرازي K.

وأنا معهمP[1].

من صفات الشيعة

أما ما يلزم أن يتصف به الشيعة ويكونوا عليه، فقد بينته الروايات الشريفة في هذا الشأن، ففي رواية عن الإمام الباقر8 أنه قال لأحد أصحابه واسمه جابر[2]: Σيا جابر، أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت. فو الله، ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياءP.

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة؟

فقال: Σيا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إني أحب رسول الله فرسول اللهσ خير من علي A، ثم لا يتبع سيرته ولايعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً. فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزوجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته.

---

(1) جامع الأخبار: ص35 الفصل السابع عشر في فضائل شيعة أمير المؤمنين علي A.

(2) جابر بن يزيد الجعفي.

يا جابر، والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورعP[1].

وقال الإمام الصادق 8: Σعليك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول الركوع والسجود؛ فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيتP[2].

وعن علي بن أبي زيد عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله A فدخل عيسى بن عبد الله القمي، فرحب به وقرب من مجلسه، ثم قال: Σيا عيسى بن عبد الله، ليس منا ولا كرامة، من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منهP![3].

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي عبد الله A: أوصني؟

فقال: Σأوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهادٌ لا ورع فيهP[4].

وقال أبو جعفر الباقر A: Σأعينونا بالورع؛ فإنه من لقي

---

(1) الكافي: ج2 ص74 باب الطاعة والتقوى ح3.
(2) الكافي: ج2 ص77 باب الورع ح9.
(3) الكافي: ج2 ص78 باب الورع ح10.
(4) بحار الأنوار: ج75 ص295 ب24 ح4.

الله عزوجل منكم بالورع كان لـه عند الله فرجاً، وإن الله عز وجل يقول: Πوَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاًO[1] فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحونP[2].

وقال أبو عبد الله الصادق A قال: Σإنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزينوا به يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم اللهP[3].

وعن أبي الحسن الأول موسى بن جعفر A قال: Σكثيراً ما كنت أسمع أبي A يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أورع منهP[4].

وعن جابر الجعفي قال: تقبضت بين يدي أبي جعفرA فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني، أو أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي؟!

فقال: نعم يا جابر، إن الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه؛ فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد

---

(1) سورة النساء: 69.
(2) الكافي: ج2 ص78 باب الورع ح12.
(3) وسائل الشيعة: ج15 ص243 ب21 ح20391.
(4) الكافي: ج2 ص79 باب الورع ح15.

من البلدان حزن حزنت هذه لأنها منهاP[1].

وقال الإمام الصادق A: Σالمؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لايخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعده عدةً فيخلفهP[2].

وقال أبو عبد الله الصادق A: Σكونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعيةP[3].

وعن أبي الحسن الماضي A: Σليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليهP[4].

وعن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله A والبيت غاص بأهله فيه الخراساني، والشامي، ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله A وكان متكئاً ثم قال: Σيا شيعة آل محمد اعلموا، أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه. يا شيعة آل محمد، اتقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوة إلا باللهP[5].

---

(1) الكافي: ج2 ص166 باب أخوة المسلمين بعضهم لبعض ح2.
(2) وسائل الشيعة: ج12 ص205 ب122 ح16096.
(3) بحار الأنوار: ج67 ص303 ب57 ح13.
(4) الكافي: ج2 ص453 باب محاسبة العمل ح2.
(5) الكافي: ج2 ص637 باب حسن المعاشرة ح2.

وقال أبو جعفر الباقرA: Σعظموا أصحابكم ووقروهم ولايتهجم بعضكم على بعض، ولا تضاروا ولا تحاسدوا، وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين الصالحينP[1].

من آداب الشيعة

عن أبي الحسن A: Σإن للحق أهلا وللباطل أهلا، فأهل الحق في شُغُل عن أهل الباطل، ينتظرون أمرنا ويرغبون إلى الله إن يروا دولتنا، ليسوا بالبذر المذيعين ولا بالجفاة المراءين، ولا بنا مستأكلين ولا بالطمعين، خيار الأمة نور في ظلمات الأرض ونور في ظلمات الفتن ونور هدى يستضاء بهم، لا يمنعون الخير أولياءهم، ولا يطمع فيهم أعداؤهم، إن ذُكرنا بالخير استبشروا وابتهجوا واطمأنت قلوبهم وأضاءت وجوههم، وإن ذُكرنا بالقبح اشمأزت قلوبهم واقشعرت جلودهم وكلحت وجوههم وأبدوا نصرتهم وبدا ضمير أفئدتهم، قد شمروا فاحتذوا بحذونا، وعملوا بأمرنا، تعرف الرهبانية في وجوههم، يصبحون في غير ما الناس فيه، ويمسون في غير ما الناس فيه، يجأرون إلى الله في إصلاح الأمة بنا، وأن يبعثنا الله رحمة للضعفاء والعامة، يا عبد الله أولئك شيعتنا وأولئك منا وأولئك حزبنا وأولئك أهل ولايتناP[2].

وقال الإمام جعفر الصادق A: Σإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك، وقالوا هذا أدب جعفر، وإذا

---

(1) الكافي: ج2 ص637 باب حسن المعاشرة ح4.
(2) مشكاة الأنوار: ص63- 64 الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.

كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، والله لقد حدثني أبي A أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي رضوان الله عليه فكان أقضاهم للحقوق وأداهم للأمانة وأصدقهم للحديث إليه وصاياهم وودائعهم، يسأل عنه فيقال من مثل فلان، فاتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله o وتطهير من الله وولادة طيبة لا يدعيها أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي، فإن الصلاة عليه عشر حسنات، خذ بما أوصيتك به وأستودعك اللهP(1).

وعن إسماعيل بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله A: Σأوصيك بتقوى الله والورع وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار وكثرة السجود، فبذلك أمرنا محمدP(2).

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي جعفر A جعلت فداك إني لا أكاد أن ألقاك إلا في السنين فأوصني بشيء آخذ به، قال: Σأوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لم ينفع ورع إلا بالاجتهاد، وإياك أن تطمع نفسك إلى من فوقك، وكثيرا ما قال الله جل ثناؤه لنبيه o Π فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْO(3)، و قال: Π لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ

(1) مشكاة الأنوار: ص64- 65 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(2) بحار الأنوار: ج82 ص161 ب29 ذيل ح18.
(3) مشكاة الأنوار: ص66 الفصل الثالث في آداب الشيعة.

الدُّنْياO[1]، فإن داخلك شيء فاذكر عيش رسول الله o إنما كان قوته الشعير وحلاوته التمر ووقوده السعف، وإذا أصبت بمصيبة في نفسك فاذكر مصابك برسول الله o فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قطP[2].

وقال أبو جعفر A: Σيا معشر شيعة آل محمد عليه وعليهم السلام كونوا النمرقة الوسطى، إليكم يرجع الغالي، وبكم يلحق التاليP، فقال رجل: جعلت فداك وما الغالي؟ قال: Σقوم يقولون فينا ما لانقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهمP قال: فما التالي؟ قال: Σالمرتاد يريد الخير يبلغه الخير ويؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال: Σوالله ما معنا من الله براءة وما بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا يتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعا نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصيا لم تنفعه ولايتناP[3].

وعن عمر بن أبان قال سمعت أبا عبد الله A يقول: Σيا معشر الشيعة إنكم قد نُسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا (علينا) شينا، كونوا مثل أصحاب علي رضوان الله عليه في الناس، إن كان الرجل منهم ليكون في القبيلة فيكون إمامهم ومؤذنهم وصاحب أماناتهم وودائعهمP[4].

---

(1) سورة التوبة: 55.
(2) سورة طه: 131.
(3) مشكاة الأنوار: ص66 – 67 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(4) بحار الأنوار: ج85 ص119 ب2 ح83.

وعن علي بن يقطين قال: قال أبو الحسن موسى A:
Σمر أصحابك أن يكفوا من ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله، وإذا قام أحدهم في صلاة فريضة فليحسن صلاته وليتم ركوعه وسجوده ولا يشغل قلبه بشيء من أمور الدنيا، فإني سمعت أبا عبد الله A يقول:
إن ملك الموت يتصفح وجوه المؤمنين من عند حضور الصلوات المفروضاتP[1].

وعن الكاظم عن أبيه عن جده % قال: Σإن علي بن الحسين A أخذ بيدي جدي ثم قال: يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، و إن لم يكن بموضع كنت أهله، و إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل منهP[2].

وعن جعفر بن كليب قال: قال أبو عبد الله A: Σاتقوا الله وتحابوا وتزاوروا وتواصلوا وتراحموا وكونوا إخوانا بررةP[3].

وقال أبو جعفر A: قال رسول الله o: Σأنا زعيم ببيت في الجنة لمن حسن خلقه مع الناس، وترك الكذب في المزاح والجد، وترك المراء وهو محقP[4].

وعن أبي إبراهيم A قال: قال رسول الله o: Σحسن

---

(1) مستدرك الوسائل: ج4 ص102 ب2 ح4236.
(2) مشكاة الأنوار: ص69 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(3) مشكاة الأنوار: ص70 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(4) مشكاة الأنوار: ص70 الفصل الثالث في آداب الشيعة.

الخلق يثبت المودة، وحسن البشر يذهب السخيمة، واستنزلوا الرزق بالصدقة، ومن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة، وإياك أن تمنع حقا فتنفق في باطل مثليهP[1].

وعن علي بن زيد عن أبيه قال: قال أبو عبد الله A: Σليس من شيعتنا من كان في مصر فيه مائة ألف وكان في المصر أورع منهP[2].

وعن أبي الصامت الخولاني عن أبي عبد الله A قال: Σمررت أنا وأبي على الشيعة وهم ما بين القبر والمنبر، فقلت لأبي، جعفر A: مواليك جعلني الله فداك، قال: وأين تراهم، فقلت: أراهم ما بين القبر و المنبر، فقال اذهب بي إليهم، فذهبنا فسلم عليهم ثم قال: إني لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوني على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع والاجتهاد، والله إنكم على ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاقP[3].

وعن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبد الله A: Σليس من شيعتنا قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولم يعمل بأعمالنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتناP[4].

وقال رسول الله 9: Σمثل المؤمن عند الله كمثل ملك

---

(1) مشكاة الأنوار: ص70 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(2) مشكاة الأنوار: ص70 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(3) مشكاة الأنوار: ص74 الفصل الثالث في آداب الشيعة.
(4) مستطرفات السرائر: ص639.

مقرب، وإن المؤمن عند الله لأعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب ومؤمنة تائبةP [1].

وعنه الإمام الصادق A قال: Σامتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عن عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيهاP[2].

وقال أبو جعفر A: Σإنما شيعة علي الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جن الليل اتخذوا الأرض فراشا، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونونP[3].

وقال الباقر A: Σسُئل رسول الله o عن خيار العباد؟ فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفرواP[4].

وقال أمير المؤمنين A: Σلو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي o أنه قال: يا علي لا

---

(1) وسائل الشيعة: ج16 ص75 ب86 ح21021.
(2) بحار الأنوار: ج80 ص22 ب6 ح40.
(3) وسائل الشيعة: ج1 ص90 ب20 ح214.
(4) الكافي: ج2 ص240 باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح31.

يبغضك مؤمن ولا يحبك منافقP[1].

وقال علي بن الحسين A: Σإذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزُبَر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا ويكونون حكام الأرض وسنامهاP[2].

وقال الباقر A: Σما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلون خلفه يدعون الله حتى يفرغ من صلاتهP[3].

وقال رسول الله o: Σمن أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أول النعمP قيل: وما أول النعم؟ قال: Σطيب الولادة، ولا يحبنا إلا من طابت ولادتهP[4].

وقال الباقر A: Σمن أصبح يجد برد حبنا على قلبه فليحمد الله على بادئ النعم، قيل: وما بادئ النعم؟ قال: طيب الولادةP[5].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله o وتلا هذه الآية: Πالَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُO [6] ثم التفت إليه فقال: يا ابن أم سليم ترى فيمن أنزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا، قلت ومن يدعي الإسلام

---

(1) نهج البلاغة: حكم أمير المؤمنين A 45.
(2) الخصال: ج2 ص541 أبواب الأربعين فما فوقه ح14.
(3) من لا يحضره الفقيه: ج1 ص209 باب فضل الصلاة ح629.
(4) بحار الأنوار: ج27 ص145 – 146 ب5 ح3.
(5) الأمالي للصدوق: ص475 المجلس72 ح12.
(6) سورة الرعد: 28.

ليس من شيعتكم، قال: نعم تباعدهم من الإسلام عداوتهم لأهل بيتي وتقربهم من اليهودية والنصرانيةP[1].

وقال رسول الله o: Σمن رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكن أنه في الجنة، وإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر في الآخرة، أما في الدنيا: فالزهد والحرص على العلم والورع في الدين والرغبة في العبادة والتوبة قبل الموت والنشاط في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس والحفظ لأمر الله عزوجل ونهيه والتاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء، وأما في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان، ويُعطى كتابه بيمينه ويكتب له براءة من النار ويبيض وجهه ويُكسى من حلل الجنة ويشفع في مائة من أهل بيته وينظر الله عزوجل إليه بالرحمة ويتوج من تيجان الجنة والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب فطوبى لمحبي أهل بيتيP[2]. وعن أبي الصامت الخولاني قال: قال أبو جعفر A: Σيا أبا الصامت إن الله خلق شيعتنا من طينة مخزونة لا يزيد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد إلى يوم القيامة، وإن الرجل من شيعتنا ليمر بالبقعة من بقاع الأرض فيصلي عليها أو يمشي عليها فتفتخر تلك البقعة على البقاع التي حولها فتقول مر علي رجل من شيعة آل محمدP[3].

وعن منصور بن عمرو بن الحمق الخزاعي قال: أغمي

---

(1) مشكاة الأنوار: ص91 الفصل الخامس.
(2) بحار الأنوار: ج27 ص78-79 ب4 ح12.
(3) مشكاة الأنوار: ص91 الفصل الخامس.

على أمير المؤمنين A حين ضربه ابن ملجم لعنه الله، فأفاق وهو يقول: Σطوبى لهم وطوبى لكم وطوباهم أفضل من طوباكمP، قال: قلت: صدقت يا أمير المؤمنين طوباهم برؤيتك وطوبانا بالجهاد معك وطوبانا بطاعتك، ومن هؤلاء الذين طوباهم أفضل من طوبانا؟ قال A: Σأولئك شيعتي الذين يأتون من بعدكم يطيقون ما لا تطيقون ويحملون ما لاتحملونP[1].

الشيعة في يوم القيامة

قال أمير المؤمنين A: Σيخرج أهل ولايتنا يوم القيامة مشرقة وجوههم، قريرة أعينهم، وقد أعطوا الأمان مما يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، والله ما يشعر أحد منكم يقوم إلى الصلاة إلا وقد اكتنفته الملائكة يصلون عليه، ويدعون لـه حتى يفرغ من صلاته، ألا وإن لكل شيء جوهرا وإن جوهر بني آدم محمد ونحن وشيعتنا، يا حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة، والله لولا زهوهم لعظم ذلك لسلمت عليهم الملائكة
قبلاP[2].

وقال أبو عبد الله A: Σإن الله وملائكته وأرواح النبيين يستغفرون للشيعة، ويصلون عليهم إلى يوم القيامةP[3].

---

(1) مشكاة الأنوار: ص96 الفصل الخامس.
(2) بحار الأنوار: ج65 ص66 ب15 ح119.
(3) مشكاة الأنوار: ص94 الفصل الخامس.

وعن أنس قال: قال رسول الله o: Σيدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم، ثم التفت إلى علي A فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهمP[1].

وعن أبي عبد الله A قال: قال رسول الله o: Σإن في يمين العرش منابر من نور، عليها رجال وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فقال له عمر بن الخطاب: فمن هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم الذين تواصوا في الله، وتواخوا في الله، وتواصلوا في الله، وتحابوا في الله، فدخل علي بن أبي طالب A فقال: هم شيعة هذا و أشار إلى علي A P[2].

وعن علي بن حمران عن أبيه عن أبي عبد الله A قال: Σخرجت أنا وأبي ذات يوم فإذا هو بأناس من أصحابنا بين القبر و المنبر، فدنا منهم وسلّم عليهم ثم قال: والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينونا على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد، إذا ائتم أحدكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم شرطة الله وأنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، السابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان رسول الله، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء وكل مؤمن صديقP[3].

وقال جابر: كنت ذات يوم عند النبي o إذ أقبل بوجهه

---

(1) بحار الأنوار: ج27 ص142 ب4 ح150.
(2) مشكاة الأنوار: ص97 الفصل الخامس.
(3) مشكاة الأنوار: ص92 الفصل الخامس.

على علي بن أبي طالب A فقال: ألا أبشرك يا أبا الحسن! قال: بلى يا رسول الله، قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله عزوجل أنه أعطى شيعتك ومحبيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهمP[1].

وقال رسول الله o لعلي A: Σيا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحدا منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم وبئس المصير، يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا، يا علي شيعتك مغفور لهم على ما كانوا من ذنوب وعيوب، يا علي أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشرهم بذلك يا علي، شيعتك شيعة الله وأنصارك أنصار الله وأولياؤك أولياء الله وحزبك حزب الله، سعد من تولاك، وشقي من عاداك، يا علي لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيهاP[2].

وقال رسول الله o: Σإن الله تبارك و تعالى يبعث أناسا وجوههم من نور، على كراسي من نور، عليهم ثياب من نور، في ظل العرش بمنزلة الأنبياء وليسوا بالأنبياء،

---

(1) مشكاة الأنوار: ص86 الفصل الرابع.
(2) مشكاة الأنوار: ص80 الفصل الرابع في منزلة الشيعة عند الله ...

وبمنزلة الشهداء وليسوا بالشهداءP.

فقال رجل: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا.

قال الآخر: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا.

قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: فوضع يده على رأس علي بن أبي طالب وقال: هذا وشيعتهP[1].

وقال o: Σلا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضرP[2].

وعن هذيل السابري قال: قال أبو جعفر A: قال علي A: Σأسندني رسول الله o إلى صدره ثم قال: يا أخي سمعت قول الله Πالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِO [3] هم أنت وشيعتك تقدمون علي غراً محجلين ويقدم عدوكم سودا مقمحين، قالها ثلاث مراتP[4].

حب أهل البيت % والعمل

من هذه الروايات الشريفة يستفاد أن حب أهل البيت % وولايتهم هو الأساس في قبول الأعمال، ولكنه مشروط بالعمل الصالح والتقوى.

قال تعالى: Πإِنّمَا يَتَقَبّلُ اللهُ مِنَ الْمُتّقِينَO[5].

---

(1) بشارة المصطفى: ص32.
(2) الأمالي للصدوق: ص307 المجلس الخمسون ح16.
(3) سورة البينة: 7.
(4) مشكاة الأنوار: ص91 الفصل الخامس.
(5) سورة المائدة: 27.

وقال أبو عبد الله الصادق A: Σ..إن أمير المؤمنين A كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيته بالتوبة، وأنى له بالتوبة؟! فو الله، أن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عزوجل منه عملاً إلا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقنا أو رجا الثواب بنا، ورضي بقوته نصف مد كل يوم، وما يستر به عورته، وما أكن به رأسه، وهم مع ذلك والله خائفون وجلون، ودّوا أنه حظهم من الدنيا، وكذلك وصفهم الله عزوجل حيث يقول: Πوَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌO[1] ما الذي أتوا به؟ أتوا والله بالطاعة مع المحبة والولاية، وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم، وليس والله خوفهم خوف شك فيما هم فيه من إصابة الدين؛ ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتناP[2].

وقال أبو جعفر الباقر % في قوله تعالى: Πقُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىO[3] قال: Σهم الأئمة %P[4].

وروي عن الإمام الرضا A أنه قال: Σليس في الدنيا نعيم حقيقيP فقال لـه بعض الفقهاء ممن يحضره: فيقول الله

---

(1) سورة المؤمنون: 60.
(2) الكافي: ج8 ص128 حديث نادر ح98.
(3) سورة الشورى: 23.
(4) الكافي: ج1 ص413 باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح7.

عزوجل: Πثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِO[1]، أما هذا النعيم في الدنيا، وهو الماء البارد؟ فقال له الرضا A وعلا صوته: Σكذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب؟P، فقالت طائفة: هو الماء البارد. وقال غيرهم: هو الطعام الطيب. وقال آخرون: هو النوم الطيب!.

قال الرضا A: Σولقد حدثني أبي A عن أبيه أبي عبد الله الصادق A: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: Πثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِO[2] فغضب A وقال: إن الله عزوجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به، ولا يمن بذلك عليهم؛ والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزوجل ما لا يرضى المخلوق به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة؛ لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.. P[3].

وقال الإمام الصادق A:Σ..ومن سرّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا ألم يسمع قول الله عزوجل لنبيه o: Πقُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌO[4] والله لا يطيع الله عبد أبدا إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبد أبداً إلا أحبه الله، ولا والله لا يدع أحد اتباعنا أبدا إلا أبغضنا، ولا

---

(1) سورة التكاثر: 8.
(2) سورة التكاثر: 8.
(3) عيون أخبار الرضا A: ج2 ص129 ب35 ح8.
(4) سورة آل عمران: 31.

والله لا يبغضنا أحد أبداً إلا عصى الله، ومن مات عاصيا لله أخزاه الله وأكبه على وجهه في النارP[1].

نعم، كما أن حب أهل البيت % واجب، ولا يدخل الجنة من يبغضهم، وبحبهم ينال الإنسان الثواب كما في الروايات الكثيرة، إلا أن ترك العمل بتعاليمهم ووصاياهم يصل بالإنسان إلى عقاب الله، بل الأكثر من ذلك أن الإنسان الذي يعرف فضل أهل البيت % ويعرف منزلتهم ويحبهم لذلك، وهو لا يمتثل لما يأمرون به، بل يعمل على عكس ذلك فعتابه عند الله تعالى أشد، بل إن المحبة الحقيقية التي هي مورد الروايات لا تعني إلا أن يكون المحب محباً من جميع الجهات، ومنها فعل ما أمره وترك ما نهاه، وقد روي عن الإمام الصادق 8: Σما أحب الله من عصاهP ثم تمثل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع[2]

وقال الإمام أمير المؤمنين A في إحدى خطبه: Σإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله

---

(1) الكافي: ج8 ص14 كتاب الروضة.. ح1.

(2) وسائل الشيعة: ج15 ص308 ب41 ح20596. ونسبت الأبيات إلى الشاعر أبي العتاهية (130- 211هـ) وهو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، من شعراء العصر العباسي.

ألومP[1].

فالميزان ليس في تعلم العلم فقط، وإنما المهم في ذلك هو تطبيق العلم الذي تعلمه الإنسان حتى ينتفع بعلمه ويؤجَر ويثاب عليه، وإلا فيكون ذلك العلم حجة عليه كما يقول الإمام A: Σمن لم يعمل بالعلم كان حجة عليه ووبالاًP[2].

وقال أمير المؤمنين A: Σقوام الدنيا بأربع: عالم يعمل بعلمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني يجود بماله على الفقراء، وفقير لايبيع آخرته بدنياه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياهP[3].

التقوى والقانون

تُنظّم حياة البشر مجموعة من القوانين والنُظُم، وقد اختلف الناس في أصل هذه القوانين أي من وضع القانون الأول في الحياة؟ فاختلفوا إلى مذاهب وآراء كثيرة، لو أردنا ذكرها لطال بنا المقال، فنتوقف هنا على رأي الإلهيين في ذلك، وهو:

أن الواضع الأول للقانون هو الله تعالى، بمعنى أن الله تعالى عندما خلق الإنسان جعل معه نظاماً لكل شيء، وأنزل لـه كتباً ودساتير بواسطة أنبيائه % تنظم له حياته بما يناسب

---

(1) نهج البلاغة، الخطب: 110 من خطبة لـه A في أركان الإسلام وفضل القرآن.

(2) غرر الحكم ودرر الكلم: ص52 ق1 ب6 ف4 ح2828.

(3) غرر الحكم ودرر الكلم: ص371 ق5 ب3 ف8 ح8415.

المستوى الفكري لكل أمة من الأمم، إلى أن وصل الحال إلى زمن نبينا الأعظم o، فأنزل عليه القرآن العظيم، وفيه الإحاطة التامة الكاملة بكل احتياجات الإنسان إلى قيام الساعة، كما قال الله تعالى: Πوَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍO [1].

والقانون: هو الضابط المهم للحياة، حيث إنه يضمن الحريات لجميع البشر، كما يضمن تأمين النظام والسلام، وبه تتحقق العدالة بصورة عامة، فالقانون الإسلامي وضع على أساس العدالة والرحمة الربانية، ومضامين هذا القانون تعكس القواعد الأخلاقية التي رعاها الواضع عزوجل فيها.

وهذا الكلام هو في القانون الإلهي، لأن القانون الوضعي فيه كثيراً من الهفوات والأخطاء، إذ أصبح بيد جماعة من المستفيدين فربما يضعون فقرات القانون حسب أهوائهم، وتماشياً مع مصالحهم، وربما يخطئون في تشخيص المصالح والمفاسد، بخلاف القانون الإلهي فهو بعيد عن الأهواء والمصالح الخاصة والأخطاء، فإنه صادر من الله العالم بكل شيء، كما قال سبحانه وتعالى: Πوَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى Θ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَىO[2]

ومن فقرات هذا القانون الإلهي: التقوى، يعني أن يكون الإنسان مرتبطاً بالله تعالى في كل أعماله، وعن طريق الارتباط بالله تعالى يحصل الإنسان على الترتيب والتنظيم في دنياه وفي آخرته، فالإنسان المرتبط بالله (المتقي) تجده

---

(1) سورة الكهف: 54.
(2) سورة النجم: 3 - 4.

سعيداً في الدنيا والآخرة؛ لأن الالتزام بالقوانين الإلهية توجب السعادة في الدنيا والآخرة، حيث إنها شرعت حسب مصالح الإنسان الواقعية، فإذا تابعها كان سعيداً، وإلا فقد خسر في الدنيا والآخرة. قال تبارك وتعالى: Πوَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً Θ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراًO [1].

وجاء في رواية عن أمير المؤمنين A أنه قال: Σاعلموا عباد الله، أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهمP[2].

فلنكن من المتقين لنفوز في الدنيا والآخرة، ولا ينبغي أن نترك الآخرة للدنيا فإنها فانية، والناس جميعهم سوف يوارون في التراب، وستغلق صحائف أعمالهم، فلا الذين قبلنا خلدوا في الدنيا، ولا نحن الخالدون، ولا من يأتي بعدنا، فالجميع راحلون، كما قال الشاعر:

الموت باب وكل الناس داخله
فليت شعري بعد الباب ما الدار؟
الدار جنة خلدٍ إن عملت بما
يرضي الإله وإن قصرت

(1) سورة الطلاق: 2، 3.
(2) نهج البلاغة، الكتب: 27 من عهد لـه A إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر.

فالنار[1]

لذا علينا أن نتذكر دائماً بأننا نرحل من هذه الدنيا عاجلاً أم آجلاً، وهذا هو ما نص عليه القانون الإلهي في الكون، بأن الحياة فانية، والدار الآخرة هي الباقية، ففي خطبة لإمام المتقين A قال فيها واصفاً الدنيا: Σفإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازا، لتزوَّدوا منها الأعمال إلى دار القرار»[2].

فلنتزود بالتقوى لأنها أفضل الأعمال وهي الأساس في الأخلاق المثالية. قال أمير المؤمنين A عندما سُئل: أي علم أفضل؟ قال: ΣالتقوىP[3].

ولنتزود بالتقوى، لأنها أفضل زاد في الدنيا والآخرة، كما وصفها إمام المتقين A حيث قال لما دخل المقابر: Σيا أهل التربة، ويا أهل الغربة، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا، وليت شعري ما عندكمP؟ ثم التفت إلى أصحابه، وقال: Σلو أذن لهم في الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوىP[4].

العبادة والتقوى

---

(1) الأبيات للشاعر أبي العتاهية.
(2) نهج البلاغة، الخطب: 132 من خطبة لـه A يعظ فيها ويزهد في الدنيا.
(3) بحار الأنوار: ج67 ص288 ب56 ح16.
(4) من لا يحضره الفقيه: ج1 ص179 باب التعزية والجزع عند المصيبة ح535.

قال الإمام الصادق A: Σإن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فرقا من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكنّي أعبده حباً لـه عز وجل، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن لقوله عزوجل: Πوَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَO[1] ولقولـه عزوجل: Πقُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْO[2] فمن أحب الله أحبه الله، ومن أحبه الله عز وجل كان من الآمنينP[3].

وقال الإمام السجاد A: Σإني أكره أن أعبد الله لأغراض لي ولثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطيع، إن طمع عمل، وإلا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عقابه؛ فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعملP، قيل: فلم تعبده؟ قال: Σلما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامهP[4].

وقال الإمام محمد بن علي الباقر A: Σلا يكون العبد عابداً لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كله إليه، فحينئذ يقول: هذا خالص لي فيتقبله بكرمهP[5].

قال تعالى: Πذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

---

(1) سورة النمل: 89.
(2) سورة آل عمران: 31.
(3) بحار الأنوار: ج67 ص197 ب53 ضمن ح2.
(4) بحار الأنوار: ج67 ص198 ب53 ضمن ح2.
(5) مستدرك الوسائل: ج1 ص101 ب8 ح91.

فَاعْبُدُوهُO[1].

إذاً تنقسم دوافع الناس في عبادتهم لله سبحانه إلى أقسام ثلاثة هي:

أولاً: الخوف، حيث إن بعض الناس يعبدون الله خوفاً من عذابه، فإن طبيعة الإنسان يحرص على أن يتجنب الوقوع في المهالك والأخطار، وبما أن الله تعالى حذّر الإنسان ووعده بالعذاب في حالة عصيانه، حيث قال تعالى: Πوَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُO[2] وغيرها في كثير من الآيات والروايات في هذا الجانب، فنلاحظ أغلب الناس يعبدون الله تعالى خوفاً من عذابه.

قال تعالى: Πقُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍO[3].

وقال تعالى: Πيَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاًO[4].

وقال تعالى: Πوَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِO[5].

وقال أمير المؤمنين A: Σالخوف من الله في الدنيا يؤمن الخوف في الآخرةP[6].

وقال أمير المؤمنين A: Σهيهات أن ينجو الظالم من أليم

---

(1) سورة الأنعام: 102.
(2) سورة آل عمران: 28.
(3) سورة الأنعام: 15.
(4) سورة مريم: 45.
(5) سورة غافر: 32.
(6) مستدرك الوسائل: ج11 ص236 ب14 ضمن ح12846.

عذاب الله وعظيم سطواتهP[1].

ثانياً: الطمع، فإن هناك من الناس مَن يعبد الله طمعاً في الحصول على الثواب، فكلما فكر فيما وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، من النعمة والكرامة وحُسن العاقبة ازداد طمعاً، وبالغ في التقوى والتزم بعمل الخير، وترك عمل الشر، وذلك طمعاً في المغفرة والجنة والنعم والأجر الأخروي، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2]. كما تبين ذلك الآيات والروايات كثيرة في هذا الشأن.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ

---

(1) مستدرك الوسائل: ج12 ص101 ب77 ضمن ح13629.
(2) سورة الفتح: 29.
(3) سورة التوبة: 72.
(4) سورة آل عمران: 15.
(5) سورة ص: 51.

الْمُقَرَّبُونَ Θ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ Θ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ Θ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ Θ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ Θ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ Θ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ Θ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ Θ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ Θ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ Θ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ Θ وَحُورٌ عِينٌ Θ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ Θ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ O [1].

وقال أمير المؤمنين A: Σانتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله، فإن الله قد أعذر إليكم بالجلية واتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الأعمال ومكارهه منها؛ لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فإن رسول الله ν كان يقول: إن الجنة حفت بالمكاره، وإن النار حفت بالشهوات، واعلموا، أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله امرأ نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى. واعلموا عباد الله، أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها، فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم، قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازلP[2].

وقال أبو عبد الله الصادق A: Σقال الخضر لموسى A: يا موسى إن أصلح يوميك الذي هو أمامك فانظر أي يوم هو

---

(1) سورة الواقعة: 10 - 24.

(2) نهج البلاغة، الخطب: 176 من خطبة لـه A وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

وأعد لـه الجواب، فإنك موقوف ومسئول، وخذ موعظتك من الدهر فإن الدهر طويل قصير، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك، ليكون أطمع لك في الآخرة، فإن ما هو آت من الدنيا كما هو قد ولى منهاP[1].

ثالثاً: الحب، وهناك قسم ثالث من الناس ـ وما أقلهم ـ يُعتبرون خاصة الله في أرضه من أنبياء وأوصياء وصالحين، فهؤلاء هم العلماء بالله، لا يعبدون الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في ثوابه، وإنما يعبدونه حباً له حيث تكون قلوبهم مغمورة بالمحبة الإلهية، قال الله تعالى: Πوَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدّ حُبّاً للهِO[2] وأصحاب هذا الطريق هم الأبرار الغالبون، ولهم ثواب عظيم في الآخرة، وفي أعلى عليين. ويأتي في قمة هؤلاء نبينا العظيم o وأهل بيته الطاهرون %.

قال أمير المؤمنين A: Σإلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتكP[3].

ويرى أصحاب هذا الطريق ـ حب الله تعالى ـ أن عبادة الله تعالى خوفاً من عذابه، أو طمعاً في ثوابه، لا يشتمل على الدرجات العالية من الإخلاص؛ إذ لعل بعض هؤلاء لو وجدوا طريقاً موصلاً إلى الجنة، ويخلصهم من عذاب الله تعالى لم يعبدوا الله تعالى، واستدلالهم على ذلك هو أن الإنسان الذي يعبد الله تعالى خوفاً من عذابه، يبعثه هذا

---

(1) الكافي: ج2 ص459 باب محاسبة العمل ح22.
(2) سورة البقرة: 165.
(3) بحار الأنوار: ج41 ص14 ب101 ضمن ح4.

الخوف على ترك المحرمات، فالزهد في الدنيا هو للفوز في الآخرة والنجاة من عذابها، وكذلك عبادته تعالى طمعاً في الثواب تبعث الإنسان على العبادة في الدنيا لنيل الآخرة.

من أخلاق الرسول الأعظم o

أول قدوة في الأخلاق المثالية هو رسول الله o حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم: Πوَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍO[1] إن المتتبع لسيرة الرسول الأعظمσ يجد وبوضوح ما يتمتع به الرسول o من أخلاق فاضلة كريمة، فهو منبع الأخلاق، ويعد بحراً زاخراً من المثل العليا، والقيم الإنسانية، والفضائل الأخلاقية، في كل مناحي الحياة وجوانبها، فهو القائد المعلم، وهو الأب الروحي، وهو المرشد، وهو المصلح، وهو الأمين، إلى آخر قاموس الفضائل التي يعجز القلم عن الإحاطة بها. فالأخلاق المثالية في حياة الرسولσ واضحة وجلية في مختلف زوايا الحياة وشاملة لجميع الناس، تجده مع الصديق والمحب أباً ومرشداً، ومع العدو معلماً منقذاً، فكان يعامل الكل ι معاملة طيبة.

(1) سورة القلم: 4.

عفو رسول الله o

فها هو وحشي[1] قاتل حمزة A عم النبي o وسنده القوي[2] غدراً وغيلة، وقد مثل بجسده الطاهر ذلك التمثيل

---

(1) هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم. وقيل: مولى طعيمة بن عدي، وقيل: مولى لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف. قاتل حمزة عم النبي ι يوم أحد. وكانت هند بنت عتبة (عليها اللعنة) زوجة أبي سفيان قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة % لأعطينك رضاك، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات، فلم أطمع فيه. قال: فكمنت لحمزة، فرأيته يهد الناس هداً، فمر بي فأخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته، وخرجت من مثانته مغمسة بالدم فسقط. وكان قد جاء إلى النبي ι فأسلم، فقال لـه النبيι: ΣأوحشيP؟ قال: نعم. قالι: Σأخبرني كيف قتلت عميP؟ فأخبره فبكى، وقالι: Σغيب وجهك عنيP.

وكان وحشي بعد هذا يتنكب الطريق عن رسول الله ι حيث كان، فلم يره حتى قبضه الله تعالى.

روي أنه اشترك مع أبي دجانة الأنصاري في قتل مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فكان يقول: قتلت خير الناس، وشر الناس. وخرج بعد ذلك إلى الشام، وكان يشرب الخمر ويلبس المعصفرات، وحد على شرب الخمر، وهو أول من حد في الشام على شرب الخمر. ينظر بحار الأنوار: ج20 ص55 ب12 غزوة أحد. وأسد الغابة: ج5 ص83 ترجمة وحشي.

(2) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب العدناني. أسد الله وأسد رسوله، أمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، كنيته أبو عمارة، عم رسول الله ν، وعم أمير المؤمنين علي γ، كان على ما كان عليه أبو طالب من الحمية في رسول اللهν والذب عنه، ولم يظهر إسلامه إلى أن خرج يوما لصيد، ومر رسول اللهν في المسجد الحرام ينادي قريشا، فنالوا منه، وكان أكثرهم ←

→
قولا فيه أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي. وجاء حمزة من الصيد، فاخبر بذلك، فجاء مغضبا وهو متقلد قوسه حسب ما كان في صيده، فكان من شأنه إذا دخل المسجد أن يبدأ فيطوف بالبيت، ثم يأتي نادي بني عبد المطلب، فيجلس فلم يلو على شيء حتى وقف على أبي جهل، فشجه شجة منكرة، وقال: أتشتم ابن أخي، فأنا على دينه أقول ما يقول. فاردد علي إن استطعت. فقام إليه رجال من بني مخزوم لينتصروا منه، فقام إليهم أبو جهل، وقال: دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا. وإنما فعل ذلك ليستميله لأن لا يسلم، فتمادى حمزة في الإسلام، وأتى رسول الله ν وأظهر إسلامه، فعلم بنو عبد شمس أنه سيمنع من رسول الله ν لما أن أسلم. وكان حمزة منيع الجانب من قريش، شديد العارضة، أبي النفس. فكف بنو عبد شمس من أذى النبي ν، وعن شتمه، وأظهر حمزة الإسلام، ودخل في جملة أهله. وكان لا عقب له، وكان قد ولد لـه ولد سماه عمارة من امرأة بني النجار، ومات. وكانت لـه ابنة يقال لها: أم أبيها. وكان حمزة γ قد رضع مع رسول الله ν، أرضعتهما امرأة من مكة يقال لها: ثويبة، فقد ولدت آمنة لعبد الله رسول الله ν وولدت هالة لعبد المطلب حمزة، فأرضعت منهما أبا سلمة ابن عبد الأسد. فكان رسول الله ν يكرم ثويبة. هاجر حمزة مع رسول الله ν إلى المدينة وشهد بدرا. وقتل حمزة يومئذ طعيمة بن عدي، وسبأ الخزاعي وجماعة من المشركين. كان يدعى: أسد الله وأسد رسوله، لنجدته وشجاعته وإقدامه، وشهد يوم أحد، فأبلى من المشركين بلاء شديدا، وقتل منهم عددا كثيرا، وقتل يومئذ عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين. وكان إذا هجم يومئذ انفرجوا، ولم يقم أحد منهم لـه، فهجم في جماعة منهم، فافترقوا، وكان فيهم وحشي بن الحارث، فاستتر منه خلف شجرة، ولم يره حمزةγ وسار مقدما أمامه في طلب المشركين. فرماه وحشي بحربة كانت معه، فأصاب مقتله فسقط، وأحاط به المشركون فمثلوا به لشدة ما أبلى فيهم وكثرة من قتل منهم. وكانت هند أم معاوية مع المشركين يومئذ تحرضهم على القتل، فلما أن قتل حمزة أتت إليه، فبقرت بطنه وأخذت قطعة من كبده، فرمتها في فمها ولاكتها، وأرادت أن تبلعها، فلم تستطع وألقتها. فقال النبي ν: Σأما إنها لو
←

الشنيع الذي يقشعر بدن الإنسان من سماع وصفه، دون رؤيته حتى وصف رسول اللهσ يومها بأنه أشد يوم مرّ على قلبه الطاهر، ذلك القلب المليء بالحب والعطف والإنسانية، والبعيد كل البعد عن البغض والغلظة والكراهية، ذلك القلب العامل بالإيمان الذي لا يهمه شيء سوى مرضاة الله تعالى، ومع هذا كله عند ما جاء وحشي من وراء الرسول o وأعلن إسلامه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، واشهد أن محمداً رسول الله. ماذا عمل به الرسول الأعظمσ، وبماذا أجاب؟ التفت إليه o وقال: Σمن، وحشي؟! عفوت عنكP[1].

أيُّ أخلاق هذه! هذه هي أخلاق رسول الإنسانية، خير خلق الله تعالى، فقد كان الرسول الأعظم σ أجمع الناس

→

ابتلعتها حتى يخالط دم حمزة دمها لما طعمتها النار، ولكن أبى الله ذلكP. ووقف عليه رسول اللهν، واشتد حزنه عليه، وصبر رسول اللهν على مصابه الأليم، فدفنه مع الشهداء في مصارعهم. ولما أن صار إلى المدينة سمع بكاء نساء الأنصار على من قتل منهم، فقال ν: Σلكن حمزة لا بواكي لـهP. فسمع ذلك الأنصار، واجتمع نساؤهم وآتين منزل رسول الله ν، فجعلن يبكين حمزة، فخرجν فجزاهن خيراً، وأمرهن أن ينصرفن. شرح الأخبار: ج3 ص226 أولاد عبد المطلب، حمزة A.
ومزار حمزة عند جبل أحد في المدينة المنورة وكان لـه مقام يقصده المؤمنون من كافة أنحاء العالم ومن جميع المذاهب، إلى أن سيطرة الوهابية على بلاد المسلمين فهدموا قبر حمزة وقبور الشهداء كما هدموا قبور الأئمة % في البقيع.

(1) روي: أنه لما أسلم قال لـه النبي ι: Σأوحشي؟P قال: نعم، قال ι Σأخبرني كيف قتلت عمي؟P فأخبره فبكى، وقال: Σغيب وجهك عنيP. انظر مستدرك سفينة البحار: ج10 ص263 باب الواو. وشرح الأخبار: ج1 ص269 غزوة أحد.

لدواعي الرفعة والسمو. فقد كان أوسط الناس نسباً، وأنقاهم حسباً، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وما إلى ذلك من الصفات الحسنة[1].

تواضع النبي الأعظم ϑ

كان رسول الله o أشد الناس تواضعاً، فعن الإمام علي بن موسى الرضا A عن آبائه %قال: Σقال رسول الله σ: خمسٌ لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان؛ لتكون سنّةً من بعديP.[2]

وجاء في بحار الأنوار: أنه σ كان أوسط الناس نسبا، وأوفرهم حسبا، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وهذه كلها من دواعي الترفع، ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويعلف الناضح، ويجيب دعوة المملوك، ويجلس في الأرض، ويأكل في الأرض، وكان يدعو إلى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر، ولقد أحسن من مدحه في قوله:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها

أبـــرّ وأوفى

---

(1) التي كانσ يأخذ المرتبة العالية منها، فما من صفة إلا وترى قد استعملت صيغة التفضيل فيه: أعلم، أحلم، أفقه، وما إلى ذلك من الصفات.

(2) وسائل الشيعة: ج12 ص62 ب35 ح15651.

ذمـــة من محمد[1]

قال الإمام أمير المؤمنين o واصفاً أخلاق الرسول o: Σكان أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه أحبه، لم أرَ مثله، قبله ولا بعدهP[2].

وأجاد من قال:

بلغ العلى بكمالـــــه كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلوا عليـــــه وآلـــه

هذه بعض خصال نبي الرحمة 9 التي يعجز اللسان عن ذكر بعضها فضلاً عن جميعها، والقلم عن الإحاطة بكتابتها على أن يعطي الحق الكامل لهذه الصفات.

فليتخلق المسلمون اليوم بأخلاق ذلك الرائد العظيم، ليفوزوا في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ∏لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراًO[3].

ذكر الشيخ الطبرسي 6 في كتابه القيم مكارم الأخلاق [4]:

---

(1) بحار الأنوار: ج16 ص199 ب9 في مكارم أخلاقه وسيره وسننه ι...
(2) بحار الأنوار: ج16 ص231 ب9 ضمن ح35.
(3) سورة الأحزاب: 21.
(4) مكارم الأخلاق لمؤلفه رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري. وهو ابن أمين الإسلام الطبرسي صاحب تفسير ←

فوجدت في كلام أمير المؤمنين عليA ما يحتوي على حقيقة سير الأنبياء %، وهي الانقطاع بالكل عن الناس إلى الله، في الرجاء والخوف، وعن الدنيا إلى الآخرة. وخص من جملتهم نبينا محمدا o بكمال هذه السيرة وحثنا ورغبنا على الاقتداء به فقال A بعد كلام لـه طويل لمدع كاذب يدعي بزعمه أنه يرجو الله:

Σكذب والعظيم ما باله، ولا يتبين رجاؤه في عمله، وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله؛ فإنه مدخول، وكل خوف متحقق إلا خوف الله فإنه معلول، يرجو الله في

→

مجمع البيان. استلهاما من وحي قول النبي الأكرم σ: Σبعثت لأتمم مكارم الأخلاقP، أي: إن الهدف من بعثتهν هو بيان وتتميم الأخلاق الفاضلة؛ لأن الإسلام دين يعطي للأخلاق أهمية كبيرة، سواء الأخلاق الفردية أو الأخلاق الاجتماعية. و لهذا فإنه ـ وعلى مدى تأريخ الإسلام ـ قد ألفت كتب كثيرة في مجال الأخلاق، ونظراً للرواية المذكورة آنفاً فإن كثيراً من العلماء الكبار قد جعلوا عناوين كتبهم (مكارم الأخلاق)، منهم: أبو جعفر محمد البرقي، ومير سيد علي الهمداني، وأبو جعفر محمد النيشابوري، وغياث الدين البلخي، والسيد محمد نور بخش، والسيد عبد الله شبر صاحب التفسير المعروف. وكتاب (مكارم الأخلاق) للشيخ الجليل القدر رضي الدين الطبرسي من أكثر الكتب في هذا الموضوع شهرة. وهذا الكتاب يحتوي على اثني عشر باباً، وترجم الكتاب إلى لغات عدة، وحاول بعض المنحرفين تحريف الكتاب من خلال الحذف والإضافة والتغيير بغية تشويه سمعة الشيعة، وقد تنبه لذلك العلماء فقاموا بفضحهم وتنبيه الناس إلى ذلك. وبعد الاطلاع على هذه المؤامرة المشئومة، جمعت بأمر الميرزا الشيرازي الكبير في سنة (1314هـ) جميع النسخ الخطية والقديمة للكتاب، وقام الحاج الشيخ محمود البروجردي بتطبيق الكتاب مع هذه النسخ، ثم طبع الكتاب بدقة تامة في التصحيح وبشكل جميل.

الكبير ويرجو العباد في الصغير، فيعطي العبد ما لا يعطي الرب، فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع بعباده، أتخاف أن تكون في رجائك لـه كاذباً، أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبدا من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً، وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها في قلبه، آثرها على الله فانقطع إليها، وصار عبدا لها، ولقد كان في رسول الله σ كاف لك في الأسوة، ودليل على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها، وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله A، إذ يقول: Πرَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌO[1] والله، ما سأله إلا خبزا يأكله؛ لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله، وتشذب لحمه، وإن شئت ثلثت بداود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل من سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها، وإن شئت قلت في عيسى ابن مريم A فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن لـه زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه وخادمه يداه. فتأس بنبيك الأطيب الأطهر o فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد

(1) سورة القصص: 24.

إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخمصهم من الدنيا بطنا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله أبغض شيئا فأبغضه، وحقّر شيئا فحقره، وصغّر شيئا فصغره، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله، وتعظيمنا ما صغر الله، لكفى به شقاقا لله، ومحادة عن أمر الله، ولقد كان o يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة، لإحدى أزواجه، غيبيه عني؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشا، ولا يعتقدها قرارا، ولا يرجو فيها مقاما، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله σ ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أ أكرم الله بذلك محمداً، أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، فقد كذب والله العظيم، وأتى بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره؛ حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه، فإن تأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً σ علما للساعة، ومبشرا بالجنة، ومنذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليما، لم يضع حجرا على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منّة الله عندنا، حين أنعم علينا به، سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه. والله، لقد رقعت مدرعتي هذه حتى

استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: أ لا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرىP[1].

الأخلاق الإسلامية

إن النفس البشرية صفحة بيضاء، تنقش عليها الأعمال والأفعال، فإن كانت حسنة ازدادت هذه الصفحة بياضاً ونصاعة، وسمت بصاحبها إلى مراتب العلو والقرب من الله سبحانه ومن الناس[2]. وإن كانت رديئة سيئة تلوثت الصفحة، وجعلتها سوداء داكنة، وتحطّ من صاحبها، وتزيد من بعد المرء عن الله تعالى وعن الناس.

قال الإمام أمير المؤمنين A: Σإن النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعهاP[3].

والنفس البشرية من نفس واحدة تكويناً كما صرّح بذلك القرآن الكريم: Πوَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍO[4]، ولكن لها مراتب ودرجات، فهي من الكليات المشككة ـ كما

---

(1) مكارم الأخلاق: ص8 المقدمة.

(2) لأن الناس فطروا على حب الكمال والجمال، فالتاجر محترم، لأن لـه كمالاً مادياً لكن بما أن هذا سيزول فحبهم يزول. بخلاف الكمال الباقي والأبدي فان حب الناس تلقائياً يكون معه أبداً، فالذي يتقرب إلى الله تعالى بما أنه أصبح كاملاً ينجذب الناس إليه كما في الرواية عن الإمام الجوادγ حيث قال: Σمن استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا». كشف الغمة: ج2 ص347 باب ذكر الإمام التاسع أبي جعفر محمد بن علي..

(3) غرر الحكم ودرر الكلم: ص231 ق3 ب2 ف1 ح4616.

(4) سورة الأنعام: 98.

يقول البعض ـ فيمكن أن تتحول بفعل بعض الأعمال إلى نفس مطمئنة فاضلة، وذلك لأن صاحبها حصّنها وروّضها على ترك الأفعال القبيحة وغير اللائقة بالإنسان، فيستحق صاحبها على ذلك الفوز الإلهي، كما وعد الله تعالى المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ويمكن أن تتحول إلى نفس كدرة ومنحطة، كما عند بعض الناس؛ وذلك لأن صاحبها لم يتجنب فعل الرذائل، وغاص بها إلى أعماقه، فصاحبها قد اشترى لنفسه غضب الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ وانتقامه، وكره الناس له قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾[2].

خلاصة الكلام

فخلاصة الكلام: أن المسير بيد الإنسان، فله السير على كلا الطريقين: طريق يؤدي به إلى أن يتسامى بالنفس الفاضلة، وذلك بعمل الأخلاق المثالية والأعمال الحسنة، مثل: الصدق والأمانة والوفاء والمحبة والتقوى، وغيرها من الفضائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، ووضحها لنا النبيσ وآل بيته الأطهارβ؛ وذلك ببيانها وتحلّيهم وعملهم بها، فهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) منبع الأخلاق الحميدة، وأساس كل فضيلة، وسالك هذا الطريق لا يضل، بل يضمن الفوز في كلا الدارين؛ الفوز في الدنيا، كما هو معلوم؛ لأن جميع العقلاء يمدحون صاحب الأخلاق الفاضلة

---

(1) سورة الروم: 47.
(2) سورة الأحزاب: 64.

الحميدة، ويذمون صاحب الأخلاق الفاسدة والسيئة، أما الفوز في الآخرة فهذا أيضاً معلوم وبديهي، يؤكده العقل والنقل.

أما العقل فلأن الله تعالى عادل ـ بحكم العقل ـ فلا يضيع أجر من عمل صالحاً وسيجزيه على ذلك الثواب.

وأما النقل فكثرة الآيات المباركة والروايات الشريفة التي تحث على عمل الفضائل والاجتناب عن الرذائل وما يقابلها من الأجر الجزيل، حيث قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ

---

(1) سورة الزلزلة: 7.

(2) سورة التوبة: 120 - 121.

الثَّوَابِO[1]. والمتفحص للكتاب والسنة يجد مئات الآيات والروايات بل ربما آلافها في هذا الباب، فسلوك هذا الطريق يأتي بنا إلى الفوز بالدنيا والآخرة عقلاً ونقلاً[2].

أما الطريق الآخر، فهو طريق يؤدي إلى أن تصبح النفس منحطة ملوثة؛ وذلك بارتكاب الأعمال السيئة؛ مثل: الكذب والخيانة والغيبة والسرقة والعنف والظلم وغيرها من الأعمال الرذيلة.

هذان طريقان، والإنسان مخير بالمسير في كلا الطريقين؛ طريق الفضيلة، وطريق الرذيلة. قال الله تعالى: Π إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراًO[3] وقال تعالى: Πوهدينا النجدينO[4]. والإسلام يختار للإنسان ويحثه على سلوك طريق الفضيلة، لما به من محاسن ومنافع خاصة وعامة، تعود إلى نفسه وأسرته والى المجتمع. ويطرح الإسلام دلائل ونماذج على ذلك، في قمتها النبي الأعظمσ، وآل بيته الأطهار%، ومن سار على طريقهم ومنحاهم.

نماذج أخلاقية

---

(1) سورة آل عمران: 194 - 195.
(2) راجع كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي، وجامع السعادات للنراقي، وثواب الأعمال والخصال للشيخ الصدوق، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر للأمير ورام بن أبي الفوارس، ومحاسبة النفس للسيد ابن طاووس، وغيرها كثير.
(3) سورة الإنسان: 3.
(4) سورة البلد: 10.

الأخلاق على قسمين: أخلاق حسنة، وأخلاق سيئة، ولكن عندما يطلق لفظ الأخلاق فالمراد منه الأخلاق الحسنة، فنعني بقولنا: نماذج أخلاقية، نماذج من الأخلاق الحسنة.

والتاريخ يعرض لنا نماذج كثيرة من الأخلاق لتلامذة الأئمة % استمدت من أخلاق الرسولσ وآل بيته الأطهار % وسيرتهم، قال تعالى: Πلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌO[1]. نذكر بعضاً منها هنا لكي تكون عبرة وأسوة لأولي الألباب، قال تعالى: Πوَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَO [2].

الإمام الحسين 8 وتعامله مع الشامي

جاء في كتاب (منازل الآخرة) للمحدث القمي H[3]:

---

(1) سورة الأحزاب: 21.

(2) سورة الذاريات: 55.

(3) الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، ولد بقم المقدسة سنة (1294هـ)، كان والده من صلحاء أهل قم وزهادهم، وله تعلق بحضور مجالس الوعظ والإرشاد ومجالس سيد الشهداء8. وأمه كانت من النساء الصالحات، وكان الشيخ القمي دائما يذكرها بالخير. عاش الشيخ عباس في وسط اجتماعي متدين امتاز بكثرة الاهتمام بإقامة الشعائر الدينية، وفي هذا الجو الروحاني الذي عاشه تأثر به بشكل كبير، ورغم أنه كان ضعيف البنية، ولكنه كان قوي الروح وصاحب قلب مطمئن بالله عز وجل، وقد تشبعت نفسيته بحب البحث والمعرفة من طفولته. فقد نقل أنه حينما كان يرغب إليه أترابه من الأولاد في سنه أن يشاركهم في لعبهم البريء، كان يرفض ذلك، وحينما يصرون عليه يجيبهم بشرط أن يقص ←

→
عليهم بعض القصص الدينية، وبما أن طبع الأطفال يميل إلى القصة فكانوا يتحلقون حوله فيقص عليهم من قصص الصالحين.
قرأ مقدمات العلوم، وسطوح الفقه والأصول على عدد من علماء قم وفضلائها، كالميرزا محمد الأرباب، الذي وصف بأنه من أعاظم علماء قم، وأكابر فقهاء وأدباء الدهر.
فالقمي هو الخطيب الفحل والواعظ الشهير، ونادرة العصر في فن الخطابة، وكان لـه الدور البارز في تأسيس الجامعة العلمية مع الشيخ عبد الكريم الحائريϖ، ولكنه لم يعمر في هذه الحوزة الفتية فقد توفي بعد سنة من تأسيسها (1341هـ). وتحدث آغا بزرك الطهراني، زميل القمي حيث قال: في سنة (1316هـ) هاجر إلى النجف الأشرف، فأخذ يحضر حلقات دروس العلماء، إلا أنه لازم شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري. وكان يصرف معه أكثر وقته في استنساخ مؤلفاته ومقابلة كتاباته. ومع أن العمر قصر في حياة الأستاذ النوريε مع ذلك فقد كان لـه تأثير كبير في شخصية القمي وبنائها، وبعد وفاة الشيخ النوريε أتم دراسته بالحضور على المجتهدين الآخرين من أساتذة الحوزة العلمية.
وفي سنة (1322هـ) عاد فيها إلى قم وبقي يمارس أعماله العلمية، وانصرف إلى البحث والتأليف، لا يصرفه عن ذلك شيء، ولا يحول بينه وبين رغبته فيه واتجاهه إليه حائل. ورغم معاناته من مرض الربو إلا أن ذلك لم يكن يمنعه عن ممارسة أبحاثه ونشاطه العلمي. هاجر إلى مشهد المقدسة فهبط مشهد الإمام الرضا γ بطلب من آية الله السيد حسين القمي، فاستجاب لـه الشيخ وعزم على البقاء في هذه الأرض الطيبة، وقد طبع فيها بعض مؤلفاته، وصنف غيرها. وقد لمع اسم الشيخ القمي في هذه المدينة المقدسة وانتشر في بلدان العالم الشيعي عامة، خصوصا بعد طبع كتابه (مفاتيح الجنان). كما أنه كان لمجالس وعظه الأثر الكبير في إقبال قلوب المؤمنين وأهل المعرفة إليه، حيث كان يرتقي المنبر في بيت السيد القمي في العشرة الأولى من محرم الحرام. وأم صلاة الجماعة في أحد أروقة الحرم الرضوي على مشرفه آلاف التحية والسلام، كما أنه كان يدرس الأخلاق في ليالي الخميس والجمعة في مدرسة (ميرزا جعفر) العلمية في مشهد المقدسة، وكان يحضر تحت منبره ألف مستمع، ولم يمتهن الخطابة الحسينية، وإنما اتخذها وسيلة لتبليغ رسالته الإلهية
←

→

وقد نحج في ذلك بمقدار كبير. ونتيجة لإيمان الشيخ ϖ وتقواه وحبه لهداية المؤمنين فقد تصدى لهذه المهمة الكبيرة ـ التبليغ والخطابة ـ من موقع الوظيفة الشرعية بدون أن يحترفها، حيث كانت لمواعظه أثرها الكبير في النفوس لأنه كان يتحدث بما يعتقد به وبما عمل به قبل أن يتحدث عنه. وقد نقل عن بعض حضار مجلسه، أنه قال: لقد كان كلام الشيخ القمي يجعل الإنسان بعيدا وممتنعا عن السيئات والأعمال والذنوب لمدة أسبوع على الأقل، ويكون متوجها إلى الله تعالى وإلى العبادة. ونقل عن بعض علماء النجف: كانت طريقة الشيخ عباس عندما يرتقي المنبر ويبدأ حديثه ينقل في البداية الخبر، ثم يذكر سند الحديث ورجال السند، ثم يتحدث عن حياتهم وحالهم في الوثاقة وغيره، فإذا وصل به الحديث إلى المعصوم 8 فإنه يتغير ويتخيل السامع أنه يرى المعصوم 8 رأي العين. ولما أدخل مؤسس الحوزة العلمية في قم آية الله الشيخ الحائري ε إحياء مصائب سيدة نساء العالمين η في الفاطمية الثانية، كان يحضر للمنبر الشيخ عباس القمي، وكان المجلس يكتظ بالعلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية وسائر الناس يستمعون بإصغاء كامل إلى حديث الشيخ القمي. وكان يرتقي المنبر في النجف الأشرف ـ أيضاً ـ في (مسجد الهندي) المعروف صباح كل يوم من العشرة الأولى لمحرم، وكان مجلسه يكتظ بالناس أكثر من جميع مجالس النجف مع أنه كان يتحدث لمدة لا تقل عن ساعتين. وكان في يوم العاشر لا يقرأ إلا المقتل ولا يتحدث إلا عن مصيبة سيد الشهداء 8 ومظلوميته. وكان لخطاباته آثارا خاصة وذات جذابية تكسب إليها كل القلوب، فقد كان واعظا متعظا، ويلقي على سامعيه الأحاديث المنقولة عن الأئمة الطاهرين β مع تحفظ على ضبطها ودقة في قراءة ألفاظها. ويعظ الناس ودموعه منهمرة تسيل على لحيته الكريمة، وربما منعته من الاستمرار في حديثه، وخاصة عند ذكر مصائب المعصومين β، وما ورد عليهم من الآلام والفجائع على أيدي أعدائهم وغاصبي حقوقهم.

واهتم الشيخ القمي6 بالعلم والتأليف والتصنيف والترجمة والبحث والدرس والمقابلة وما إلى ذلك اهتماما كبيراً، قال نجله الشيخ علي: كان والدي دائم الاشتغال بالكتابة، وحتى في حال مرضه فإنه كان يشتغل بالقراءة والكتابة في اليوم والليلة سبعة عشرة ساعة على الأقل. وكان
←

روي عن عصام بن المصطلق أنه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين ابن علي A فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت لـه:

→

جيد الكتابة وسريعها، وقد كتب كثيرا حتى ثفنت أطراف أصابعه التي يمسك بها القلم، كان يعشق الكتاب بشكل عام ويطرب لـه ويرمق إليه بأريحية ومحبة، وكان ينظر إلى كتب الشيعة وبالخصوص كتب الحديث نظرة قداسة.

ترك من المؤلفات القيمة الكثير، وقد تميز ε بكثرة التأليف، وجودة ومتانة وعمق التأليف، ولذا صارت مؤلفاته محط أنظار العلماء، ومرجعا علميا للمؤلفين والمصنفين، وقد وفقه الله تعالى توفيقاً منقطع النظير في كتابه (مفاتيح الجنان) إذ قلما نجد بيتا من بيوت شيعة أهل البيت % في العالم يخلو من كتابه النفيس (مفاتيح الجنان). وهذا توفيق الهي حظي به هذا العالم الجليل. أما أشهر مؤلفاته، فهي: كتاب الأنوار البهية في تاريخ النبي وآله %، والآيات البينات في أخبار أمير المؤمنين 8 عن الملاحم والغائبات، وبيت الأحزان في مصائب سيدة النسوانΞ، والباقيات الصالحات في الأعمال والأدعية والأذكار والأوراد، طبع في حاشية كتابه (المفاتيح)، ومنتهى الآمال في سيرة الأئمة الأطهار %، وتتمة المنتهى في تاريخ الخلفاء، وتحفة الأحباب في نوادر الأصحاب، في أحوال صحابة الرسول o وأصحاب أئمة الهدى (صلوات الله عليهم)، وذخيرة العقبى في مثالب أعداء الزهراء Ξ. وسفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، والفوائد الرجبية فيما يتعلق بالشهور العربية، والكنى والألقاب، وكحل البصر في سيرة سيد البشرσ. واللآلئ المنثورة في الأحراز والأذكار المأثورة، ومنازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ونفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم A.

توفي في النجف الأشرف في شهر ذي الحجة سنة (1359هـ)، وحمل على الأكتاف إلى الصحن العلوي الشريف وصلى عليه المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهانيH ودفن بوصية منه عند رجلي أستاذه الشيخ النوري في الصحن الغروي الشريف.

أنت ابن أبي تراب؟ فقال: ΣنعمP. فبالغت في شتمه وشتم أبيه!. فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: Σأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، Πبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.. خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَΘ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌΘ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونΘ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَO[1] ثم قال لي: Σخفض عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لرشدناكP. قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني. فقال: Σ Πقَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَO[2] أمن أهل الشام أنتP؟. قلت: نعم. فقال: Σشنشنة اعرفها من أخزم[3]حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدني عند أفضل ظنك، إن شاء الله تعالىP. قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت، وودت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذاً، وما على الأرض أحب إلي منه ومن

---

(1) سورة الأعراف: 199 - 202.
(2) سورة يوسف: 92.
(3) الشنشنة: السجية والطبيعة. وقيل القطعة المضغة من اللحم. وهو مثل، وأول من قاله أبو أخزم الطائي وذلك: أن اخزم كان عاقا لأبيه، فمات وترك بنين عقوا جدهم، وضربوه وأدموه، فقال:

إن بني زملوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

أبيه[1].

ولو فرضنا أن الإمام A غضب من سباب هذا الرجل وعاملة معاملة أخرى ـ وحاشا الإمام أن ينتهج هذا الأسلوب، ولكن نقول: لو فرضنا، وفرض المحال ليس بمحال ـ لو عمل الإمام A ذلك، ألم يكن قد ازداد هذا الرجل غضباً وحقداً على الإمام وأبيه 3، وظلّ يسير على طريق الضلالة، ولامتلأ قلبه حقداً أكثر من ذي قبل؟ لكن بما أن الإمام A مسئوليته الإلهية هي هداية الناس، استطاع A أن يحوّل هذا الرجل من طريق الضلالة، وهو بغض الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته % جميعاً، إلى طريق الهداية وهو محبة الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته % عن طريق حسن أخلاقه (عليه وأبيه الصلاة والسلام).

الإمام موسى بن جعفر8 ورجل من ولد عمر

روي: أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى A ويسبه إذا رآه ويشتم علياً A، فقال لـه بعض جلسائه يوما: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهي، وزجرهم أشد الزجر، وسأل عن العمري، فذكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب فوجده في مزرعة، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا توطئ زرعنا، فتوطأه أبو الحسن A بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال لـه: Σكم غرمت في زرعك هذا؟P.

(1) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص207.

فقال له: مائة دينار.
قال: Σوكم ترجو أن تصيب فيه؟P.
قال: لست أعلم الغيب.
قال: Σإنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟P.
قال: أرجو فيه مائتي دينار.
قال: فأخرج لـه أبو الحسن A صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال: Σهذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجوP، قال: فقام العمري فقبل رأسه، وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن A وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالسا، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصتك، قد كنت تقول غير هذا؟! قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن A فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره، قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: Σأيما كان خيرا: ما أردتم، أو ما أردت، إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به شرهP[1].

نعم، هذه هي أخلاق أهل بيت النبوة % المستمدة من أخلاق حامل الرسالة الإلهية، يعاملون المسيء بالإحسان.

فالرجل أساء إلى الإمام A ولكن الإمام A لم يعامله بالمثل، وإنما أحسن إليه، واستطاع بهذا العمل تحقيق ثلاثة أهداف:

أولها: رضا الله تعالى وهو أهمها عند الإمام A.

---

(1) الإرشاد: ج2 ص233 باب ذكر طرف من فضائله8 ومناقبه وخلاله التي بان بها في الفضل من غيره.

وثانيها: إصلاح المسيء وجره إلى جادة الحق.
وثالثها: أن يكون عمل الإمام هذا أسوة ومنهجاً لكافة المسلمين.
فلنتخلق بأخلاق النبيσ وبعترته الطاهرة % ففي ذلك فوز لنا بالدنيا والآخرة.

صور من الخلق المثالي

روى الشيخ عباس القمي 6 قال: إن مالك الأشتر 6[1] كان

---

(1) مالك الأشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة النخعي المذحجي، من أصحاب أمير المؤمنين المخلصين، وقائد جيش الإمام علي ι في العراق، وهو يعد من أكابر الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء، وقيل: أنه تابعي لم ير النبي ι. لُقب بالأشتر، لأنه شارك في معركة اليرموك فضُرب على عينه فشترت. وكان رئيس قومه في الكوفة. من وجوه الصحابة وخيار التابعين، وعد الأشتر من التابعين الكبار، ورؤسائهم وزهادهم. روي أنه: مكث أبو ذر ε بالربذة حتى مات، فلما حضرته الوفاة، قال لامرأته: اذبحي شاة من غنمك واصنعيها، فإذا نضجت فاقعدي على قارعة الطريق، فأول ركب ترينهم قولي: يا عباد الله المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول اللهν، قد قضى نحبه ولقي ربه، فأعينوني عليه، وأجيبوه، فإن رسول اللهν أخبرني إني أموت في أرض غربة، وأنه يلي غسلي ودفني والصلاة علي رجال من أمته صالحون. وعن محمد بن علقمة بن الأسود النخعي، قال: خرجت في رهط أريد الحج، منهم مالك بن الحارث الأشتر، وعبد الله بن الفضل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، حتى قدمنا الربذة، فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول الله ν، قد هلك غريبا، ليس لي أحد يعينني عليه، قال: فنظر بعضنا إلى بعض وحمدنا الله على ما ساق إلينا، واسترجعنا على عظم المصيبة، ثم أقبلنا معها، فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء، ثم ←

→
تعاونا على غسله حتى فرغنا منه، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى بنا عليه، ثم دفناه، فقام الأشتر على قبره، ثم قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله ν، عَبَدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي، ونفي، وحرم، واحتقر، ثم مات وحيدا غريبا، اللهم فاقصم من حرمه، ونفاه من مهاجره وحرم رسولك، قال: فرفعنا أيدينا جميعا، وقلنا: آمين، ثم قدمت الشاة التي صنعت، فقالت: إنه قد أقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تتغدوا، فتغدينا وارتحلنا.

وحسبه فخراً أن أمير المؤمنين φ أثنى عليه بما لم يثن على أحد من أنصاره ومريديه فقال: Σ أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوفP نهج البلاغة، الكتب: 46. وقال φ فيه حين ولاه مصر: Σمن عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه. أما بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا لـه وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيفٌ من سيوف الله، لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي؛ لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكمP. وقال φ في كتاب آخر إلى أمراء جيشه حين أمّره عليهم: Σوقد أمّرت عليكما وعلى من في حيزكما، مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا لـه وأطيعا، واجعلاه درعاً ومجناً فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البط عنه أمثل.

وكان 6 شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطر في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق. وقال ابن أبي الحديد في شرحه: كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقيق بولاء أمير المؤمنين A ونصره. وقال الكشي: ذكر أنه لما نعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى أمير
←

مجتازا بسوق الكوفة وعليه قميص خام، وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزدرى بزيه، فرماه ببندقة تهاونا به، فمضى ولم يلتفت. فقيل له: ويلك، أتدري بمن رميت؟! فقال: لا . فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنينA. فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي، فلما انفتل أكب الرجل على قدميه يقبلهما. فقال: ما هذا الأمر؟!

فقال: أعتذر إليك مما صنعت. فقال: لا بأس عليك، فوالله، ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن لك[1].

يقول ـ القمي 6 ـ: انظر كيف كسب هذا الرجل الأخلاق من أمير المؤمنين A فمع أنه من أمراء جيش أمير المؤمنين، وكان شجاعاً، وشديد الشوكة، وإن شجاعته بلغت درجة بحيث قال ابن أبي الحديد: لو أن إنسانا يقسم، أن الله تعالى ما

→

المؤمنين A تأوه حزنا، وقال: Σرحم الله مالكا، وما مالك عز علي به هالكا، لو كان صخرا لكان صلدا، ولو كان جبلا لكان فندا، وكأنه قد مني قداP. وقال A: Σإنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله مالكاً، فقد كان وفي بعهده وقضى نحبه ولقي ربهP. وقال A أيضاً: Σأما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً، على مثل مالك فليبك البواكي، وهل موجود كمالكP؟. وقال معاوية حين سمع موت مالك وقد قام خطيباً: أما بعد فإنه كانت لعلي بن أبي طالب(A) يدان يمينان: قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر. استشهد ε عند ذهابه إلى مصر حينما ولاه أمير المؤمنينγ ولاية أهلها وخراجها في سنة (37 هـ) وقيل سنة (38هـ). انظر: نقد الرجال للتفرشي: ج4 ص81 مالك بن الحارث الأشتر، وجامع الرواة: ج2 ص37 ، ومعجم رجال الحديث: ج15 ص167 مالك بن الحارث. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج15 ص98 فصل في نسب الأشتر.

(1) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج1 ص2.

خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا أستاذه علي بن أبي طالب A لما خشيت عليه الإثم، ولله در القائل، وقد سُئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق. وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين A: Σلقد كان لي كما كنت لرسول اللهσ P[1]. وقال لأصحابه: Σوليت فيكم مثله اثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيهP[2]. وبالجملة، فمع هذه الجلالة والشجاعة والشدة والشوكة يصل به حسن خلقه إلى أن يهينه رجل سوقي ويستهزئ به، فلا يظهر في حاله أي تغيير وتبدل، بل يذهب إلى المسجد ويصلي، ويدعو ويستغفر لـه.

وإذا تلاحظ جيداً فإن هذه الشجاعة التي عنده حيث غلب هوى نفسه، أعلى مرتبة من شجاعته البدنية. قال أمير المؤمنين A: Σأشجع الناس من غلب هواهP[3].

روي أن أمير المؤمنين A سمع رجلا يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يرد عليه. فناداه أمير المؤمنينA:Σمهلا يا قنبر! دع شاتمك مهانا ترض الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا

(1) رجال العلامة الحلي: ص169 ب9 ترجمة مالك الأشتر.
(2) بحار الأنوار: ج32 ص547 ب12 ح459.
(3) منازل الآخرة: ص210 الروايات التي وردت في حسن الخلق. وسفينة البحار: ج1 ص421 للمحدث القمي. مستدرك الوسائل: ج12 ص111 ب81 ح13658.

عوقب الأحمق بمثل السكوت عنهP[1].

العلماء الأبرار

وكذلك كان علماؤنا الأبرار فقد اقتدوا بنبيهم o وأئمتهم % في السيرة والسلوك وحسن الخلق، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وهذه القصة تبين لنا بعض ذلك:

نقل عندما كان شيخ الفقهاء العظام المرحوم الحاج الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء)[2] موجودا في (أصفهان) وقد

---

(1) أمالي الشيخ المفيد: 118 المجلس 14 ح2.

(2) هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى المالكي الجناجي النجفي الفقيه المشهور. ولد في النجف الأشرف في حدود سنة (1154هـ)، وقيل: سنة (1146هـ). زعيم الشيعة الإمامية في وقته، لقب بشيخ الإسلام. كان فقيهاً لا ثاني له، وهو الذي قال: لم يفتض بكارة الفقه إلا أنا والشهيد الأول وولدي موسى. وينسب إلى جناجة، قرية تابعة للحلة. قال عنه صاحب (روضات الجنات): كان من أساتذة الفقه والكلام، وجهابذة المعرفة والأحكام، معروفاً بالنبالة والأحكام، مروجاً للمذهب الحق كما هو حقه، وبيده رتقه وفتقه، مقدماً عند الخاص والعام، معظماً في عيون الأعاظم والحكام، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوراً عند الهزاهز والغير، مطاعاً للعرب والعجم في زمانه، متفوقاً في الدنيا والدين على سائر أمثاله وأقرانه. كان شديد التواضع والخفض واللين، وفاقد التجبر والكبر على المؤمنين، مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته عن واحد من الأعراب، ويرتعد من كمال هيبته فرائص أولى الألباب، وكان أبيض الرأس واللحية في أزمنة مشيبه كبير رفيع الهمة، سمحا شجاعاً، قوياً في دينه، بصيراً في أمره، كثير التشوق إلى الأنكحة والطعام، والتعلق بأبواب الملوك والحكام لأجل ما في ذلك من المصالح الدينية باعتقاده، وقال (صاحب المستدرك): هو من آيات الله العجيبة التي تقصر عن دركها العقول وعن وصفها الألسن، فإذا نظرت إلى ←

قسم يوما حقوقا شرعية على الفقراء قبل شروعه بالصلاة الأولى، ثم قام للصلاة وعند انتهائه من تلك الصلاة، وقيامه للصلاة الأخرى جاءه أحد الفقراء وكان من السادة ـ الذين أُخبروا بالأمر ـ بين الصلاتين، وقال لـه: أعطني من مال جدي. فقال لـه: لقد جئت متأخراً، ولا يوجد عندي الآن شي لأعطيك منه.

فغضب ذلك السيد، وبصق على لحية الشيخ المباركة!.

فقام الشيخ من المحراب، ورفع طرف ردائه وأخذ يدور في صفوف الجماعة وهو يقول: من كان يحترم شيبة الشيخ

→

علمه فكتابه (كشف الغطاء) الذي ألفه في سفره ينبئك عن أمر عظيم ومقام علي في مراتب العلوم الدينية أصولاً وفروعاً. وكان الشيخ الأعظم الأنصاري يقول: من أتقن القواعد الأصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد.

قرأ المقدمات على يد والده الشيخ خضر، وحضر أبحاث المدرسين والعلماء الأعلام، وتتلمذ على أساطين عصره كالشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي، والشيخ محمد تقي الدورقي، والسيد صادق الفحام، والشيخ المحقق الوحيد محمد باقر البهبهاني، والسيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. وتتلمذ على يده جملة من الفقهاء والعلماء الأعلام أمثال أولاده الثلاثة الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن، وأصهاره كالشيخ أسد الله التستري، والشيخ محمد تقي الرازي، والسيد صدر الدين العاملي، والسيد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة)، وكذلك الشيخ عبد الحسين الأعسم، والشيخ حسين نجف وغيرهم كثيرون. مؤلفاته كثيرة أهمها: (كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء) و(بغية الطالب) و(القواعد الجعفرية) و(الحق المبين) و(إثبات الفرقة الناجية) و(مشكاة المصابيح) و(منهج الإرشاد لمن أراد السداد). توفي في النجف الأشرف في شهر رجب المرجب سنة (1227هـ). انظر أعيان الشيعة: ج4 ص99 ترجمة الشيخ كاشف الغطاء. وروضات الجنات: ج2 ص200 بالرقم 174. والذريعة: ج18 ص45 بالرقم 609.

فليساعد هذا السيد. فملأ الناس طرف ثوبه بالأموال، ثم أعطاها الشيخ للسيد واعتذر منه، وبعد ذلك توجه لصلاة العصر!.

تأمل في هذا الخلق الشريف بأي محل بلغ، لهذا العالم الكبير الذي كان رئيسا للمسلمين، وحجة الإسلام، وفقيه أهل البيت % وقد وصلت فقاهته إلى درجة بحيث إنه ألف كتاب (كشف الغطاء) في السفر، ونقل عنه أنه كان يقول: لو مسحتم كل الكتب الفقهية فإني أستطيع أن اكتب من الطهارة إلى الديات. وكان جميع أولاده فقهاءً وعلماءً أجلاء.

نعم، هذه هي الأخلاق التي يجب أن يتمتع بها المسلمون، ثم إن ما قام به الشيخ كاشف الغطاء 6 هذا لم يحط من قدره، مع أنه كان مرجعاً كبيراً، بل زاده احتراماً وتقديراً، وحاز على رضا الله تعالى واحترام الناس، فلو غضب الشيخ وأمر بضرب ذلك السيد ـ مثلا ـ لحصل شجار وهرج ومرج وتدخل الناس، واختل النظام في الجامع، مما يؤدي إلى تأخير الصلاة وكثرة الكلام غير المرغوب فيه، إضافة إلى مشاكل أخرى، لكن الشيخ بسماحته وأخلاقه المثالية تصرّف عكس ذلك تماماً، حيث قام وجمع له مبلغاً من المال من المصلين، مما دفع ذلك السيد إلى التفكير في خطأه في حق الشيخ وتجاوزه الكبير عليه، فقام بالاعتذار من الشيخ، ولم يحصل أي شجار أو زعزعة.

وهذه الأخلاق تعلمها الشيخ من أخلاق أئمة الهدى % .

يقول العلامة النوري H صاحب المستدرك[1]: وإن تأملت

---

(1) الشيخ الميرزا حسين النوري (1254 - 1320هـ) هو ميرزا حسين ابن ميرزا محمد تقي ابن ميرزا علي محمد بن تقي النوري الطبرسي، إمام ←

→
أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة، ومن أعاظم علماء الشيعة وكبار رجال الإسلام، ولد في قرية يالو من كور طبرستان، وكان وحيد عصره في الإحاطة والإطلاع على الأخبار والآثار والكتب الغريبة حتى جمع نفائس المخطوطات. وكان يقرأ مجالس الذكرى التي يقيمها في داره لوفيات أهل البيت %. تتلمذ على الشيخ عبد الرحيم البروجردي والد زوجته في طهران، ولازم العالم المولى محمد علي المحلاتي، والشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقين، والشيخ الأعظم الأنصاري، والميرزا الشيرازي في سامراء. وأما تلاميذه فكثيرون وكان أبرزهم الشيخ عباس القمي، والشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة في تصانيف الشيعة)، والشيخ إسماعيل محمد باقر الأصفهاني. وأما مؤلفاته فكثيرة أيضاً منها: مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم، ونفس الرحمن في فضائل سلمان، واللؤلؤ والمرجان، ومستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ودار السلام جنة المأوى، والنجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب A، وميزان السماء، والكلمة الطيبة، وكشف الأستار، وسلامة المرصاد وغيرها.

ترجمه تلميذه الآغا بزرك الطهراني 6 في مقدمة كتابه (المستدرك):
ارتعش القلم بيدي عندما كتبت هذا الاسم، استوقفني الفكر عندما رأيت نفسي عازما على ترجمة أستاذي النوري، وتمثل لي بهيئته المعهودة بعد أن مضى على فراقنا خمس وخمسون سنة..كان الشيخ النوري أحد نماذج السلف الصالح التي ندر وجودها في هذا العصر، فقد امتاز بعبقرية فذة، وكان آية من آيات الله العجيبة، كمنت فيه مواهب غريبة وملكات شريفة أهلته لان يعد في الطليعة من علماء الشيعة الذين كرسوا حياتهم طوال أعمارهم لخدمة الدين والمذهب، وحياته صفحة مشرقة من الأعمال الصالحة، وهو في مجموع آثاره ومآثره، إنسان فرض لشخصه الخلود على مر العصور وألزم المؤلفين والمؤرخين بالعناية به والإشادة بغزارة فضله، فقد نذر نفسه لخدمة العلم ولم يكن يهمه غير البحث والتنقيب والفحص والتتبع، وجمع شتات الأخبار وشذرات الحديث ونظم متفرقات الآثار وتأليف شوارد السير، وقد رافقه التوفيق وأعانته المشيئة الإلهية، حتى ليظن الناظر في تصانيفه أن الله شمله بخاصة ألطافه ومخصوص عنايته، وادخر لـه كنوزا قيمة لم يظفر بها أعاظم السلف
←

→

من هواة الآثار ورجال هذا الفن، بل يخيل للواقف على أمره أن الله خلقه لحفظ البقية الباقية من تراث آل محمد عليه وعليهم السلام Π ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌO. تشرفت بخدمته للمرة الأولى في سامراء في (1313هـ) بعد وفاة المجدد الشيرازي(قده) بسنة، وهي سنة ورودي العراق، كما أنها سنة وفاة السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، وذلك عندما قصدت سامراء زائرا قبل ورودي إلى النجف الأشرف، فوفقت لرؤية المترجم لـه بداره حيث قصدتها لاستماع مصيبة الحسينA يوم الجمعة الذي ينعقد فيه مجلس بداره، وكان المجلس غاصا بالحضور والشيخ على الكرسي مشغول بالوعظ، ثم ذكر المصيبة، وتفرق الحاضرون، فانصرفت وفي نفسي ما يعلمه الله من إجلال وإعجاب وإكبار لهذا الشيخ إذ رأيت فيه حين رأيته سمات الأبرار من رجالنا الأول.. ولما اتفقت هجرته إلى النجف في (1314هـ) لازمته ملازمة الظل ست سنين حتى اختار الله لـه دار إقامته، ورأيت منه خلال هذه المدة قضايا عجيبة لو أردت شرحها لطال المقام، وبودي أن اذكر مجملا من ذلك فهذا ـ وايم الحق ـ مقام الوفاء، ووقت إعطاء النصف، وقضاء الحقوق، فإني لعلى يقين من أنني
لا التقي بأستاذي المعظم ومعلمي الأول بعد موقفي هذا إلا في عرصات القيامة، فما بالي لا أفي حقه وأغنم رضاه. كان ـ أعلى الله مقامه ـ ملتزما بالوظائف الشرعية على الدوام، وكان لكل ساعة من يومه شغل خاص لا يتخلف عنه، فوقت كتابته من بعد صلاة العصر إلى قرب الغروب، ووقت مطالعته من بعد العشاء إلى وقت النوم، وكان لا ينام إلا متطهرا، ولا ينام من الليل إلا قليلا، ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين فيجدد وضوءه..ثم يتشرف قبل الفجر بساعة إلى الحرم المطهر، ويقف ـ صيفا وشتاء ـ خلف باب القبلة فيشتغل بنوافل الليل إلى أن يأتي السيد داود نائب خازن الروضة وبيده مفاتيح الروضة، فيفتح الباب ويدخل شيخنا، وهو أول داخل لها وقتذاك، وكان يشترك مع نائب الخازن بإيقاد الشموع ثم يقف في جانب الرأس الشريف فيشرع بالزيارة والتهجد إلى أن يطلع الفجر فيصلي الصبح جماعة مع بعض خواصه من العباد والأوتاد، ويشتغل بالتعقيب، وقبل شروق الشمس بقليل يعود إلى داره فيتوجه رأسا إلى مكتبته العظيمة المشتملة على الألوف من نفائس الكتب والآثار
←

→
النادرة العزيزة الوجود أو المنحصرة عنده، فلا يخرج منها إلا للضرورة، وفي الصباح يأتيه من كان يعينه على مقابلة ما يحتاج إلى تصحيحه ومقابلته مما صنفه أو استنسخه من كتب الحديث وغيرها، كالعلامتين الشيخ علي بن إبراهيم القمي، والشيخ عباس بن محمد رضا القمي، وكان معينه على المقابلة في النجف وقبل الهجرة إلى سامراء،وكان إذا دخل عليه أحد في حال المقابلة اعتذر منه أو قضى حاجته باستعجال لئلا يزاحم وروده أشغاله العلمية ومقابلته، أما في الأيام الأخيرة وحينما كان مشغولا بتكميل (المستدرك) فقد قاطع الناس على الإطلاق، حتى أنه لو سئل عن شرح حديث أو ذكر خبر أو تفصيل قضية أو تأريخ شئ أو حال راو أو غير ذلك من مسائل الفقه والأصول، لم يجب بالتفصيل بل يذكر للسائل مواضع الجواب ومصادره فيما إذا كان في الخارج، وأما إذا كان في مكتبته فيخرج الموضوع من أحد الكتب ويعطيه للسائل ليتأمله كل ذلك خوف مزاحمة الإجابة الشغل الأهم من القراءة أو الكتابة، وبعد الفراغ من أشغاله كان يتغذى بغداء معين كما وكيفا، ثم يقيل ويصلي الظهر أول الزوال، وبعد العصر يشتغل بالكتابة كما ذكرنا. أما في يوم الجمعة فكان يغير منهجه، ويشتغل بعد الرجوع من الحرم الشريف بمطالعة بعض كتب الذكر والمصيبة لترتيب ما يقرؤه على المنبر بداره، ويخرج من مكتبته بعد الشمس بساعة إلى مجلسه العام فيجلس ويحيي الحاضرين ويؤدي التعارفات، ثم يرقى المنبر فيقرأ ما رآه في الكتب بذلك اليوم، ومع ذلك يحتاط في النقل بما لم يكن صريحا في الأخبار الجزمية، وكان إذا قرأ المصيبة تنحدر دموعه على شيبته وبعد انقضاء المجلس يشتغل بوظائف الجمعة من التقليم والحلق وقص الشارب والغسل والأدعية والآداب والنوافل وغيرها، وكان لا يكتب بعد عصر الجمعة ـ على عادته ـ بل يتشرف إلى الحرم ويشتغل بالمأثور إلى الغروب كانت هذه عادته إلى أن انتقل إلى جوار ربه. ومما سنه في تلك الأعوام: زيارة سيد الشهداء مشياً على الأقدام، فقد كان ذلك في عصر الشيخ الأنصاريH من سنن الأخيار وأعظم الشعائر، لكن ترك في الأخير وصار من علائم الفقر وخصائص الأدنين من الناس، فكان العازم على ذلك يتخفى عن الناس لما في ذلك من الذل والعار، فلما رأى شيخنا ضعف هذا الأمر اهتم لـه والتزمه
←

في مواظبته للسنن والآداب وعباداته، ومناجاته في الأسحار، ومخاطبته لنفسه بقوله: كنت جعيفراً، ثم صرت جعفراً، ثم الشيخ جعفر، ثم شيخ العراق، ثم رئيس الإسلام، وبكائه وتذللـه، لرأيته من الذين وصفهم أمير المؤمنين 8 من أصحابه للأحنف بن قيس.

حيث روي أنه لما قدم أمير المؤمنين A البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس واتخذ له طعاما فبعث إليه

→

فكان في خصوص زيارة عيد الأضحى يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة ويمشي هو وصحبه، لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف إلى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المرسوم عند أهله، بل يقضي في الطريق ثلاث ليال .. فيصل كربلاء المقدسة، وفي السنة الثانية والثالثة زادت رغبة الناس والصلحاء في الأمر وذهب ما كان في ذلك من الإهانة والذل، إلى أن صار عدد الخيم في بعض السنين أزيد من ثلاثين لكل واحدة بين العشرين والثلاثين نفرا.

توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الثانية (1320هـ) ودفن بوصية منه بين العترة والكتاب يعني في الايوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب القبلة، وكان يوم وفاته مشهودا جزع فيه سائر الطبقات ولا سيما العلماء. ورثاه جمع من الشعراء وأرخ وفاته آخرون.

ولجثمانه كرامة، فقد حدثني العالم العادل والثقة الورع السيد محمد بن أبي القاسم الكاشاني النجفي قال : لما حضرت زوجته الوفاة أوصت أن تدفن إلى جنبه، ولما حضرت دفنها، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ بسبع سنين نزلت في السرداب لأضع خدها على التراب، حيث كانت من محارمي لبعض الأسباب، فلما كشفت عن وجهها حانت مني التفاتة إلى جسد الشيخ زوجها فرأيته طريا كيوم دفن، حتى أن طول المدة لم يؤثر على كفنه ولم يمل لونه من البياض إلى الصفرة.

راجع أعيان الشيعة: ج6 ص143 ترجمة حسين النوري. ترجمة الشيخ آغا بزرك الطهراني في مقدمة كتاب المستدرك.

صلوات الله عليه وإلى أصحابه، فأقبل ثم قال: Σيا أحنف، ادع لي أصحابيP فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنآن بوالي، فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي نزل بهم، أ من قلة الطعام، أو من هول الحرب؟!

فقال (صلوات الله عليه): Σلا يا أحنف، إن الله سبحانه أجاب أقواما تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من قربهم من يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله سبحانه توهموا خروج عنق يخرج من النار يحشر الخلائق إلى ربهم تبارك وتعالى، وكتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا، وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراجل المجرد إلى الله سبحانه غليانا، فكانوا يحنون حنين الواله في دجى الظلم، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينة قلوبهم كالحة وجوههم ذابلة شفاههم خامصة بطونهم، تراهم سكارى، سمار وحشة الليل متخشعون، كأنهم شنآن بوالي، قد أخلصوا لله أعمالا سرا وعلانية، فلم تأمن من فزعه قلوبهم، بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نهنههم هول يوم القيامة بالوعيد عن الرقاد، كما قال سبحانه: Πأَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَO [1] فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى صلاتهم

(1) سورة الأعراف: 97

معولين باكين تارة، وأخرى مسبحين، يبكون في محاريبهم ويرنون، يصطفون ليلة مظلمة بهماء يبكون، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياما على أطرافهم منحنية ظهورهم يتلون أجزاء القرآن لصلواتهم، قد اشتدت إعوالهم ونحيبهم وزفيرهم إذا زفروا، خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم ..P [1].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتحلي بالأخلاق المثالية لنفوز بسعادة الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب.

Σاللهم وصل على محمد وآله، كأفضل ما صليت على أحدٍ من خلقك قبله، وأنت مصل على أحد بعده، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا برحمتك عذاب النارP[2].

من هدي القرآن الحكيم

التقوى قوام الأخلاق:

قال تعالى: Πوَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيّاً حَمِيداًO[3].

وقال سبحانه: Πوَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا

---

(1) بحار الأنوار: ج65 ص170 ب19 ح31.
(2) الصحيفة السجادية: من دعائه A في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال.
(3) سورة النساء: 131.

عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ
يَكْسِبُونَO [1].

وقال عز وجل: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌO [2].

وقال جل وعلا: Πيَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَO [3].

وقال سبحانه: Πيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَO [4].

دوافع العبادة

1: الخوف من النار

قال تعالى: Πإِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراًO[5].

وقال تبارك وتعالى: Πوَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن

---

(1) سورة الأعراف: 96.
(2) سورة الحج: 1.
(3) سورة الأعراف: 26.
(4) سورة المجادلة: 9.
(5) سورة الإنسان: 10.

يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِO [1].

وقال عز وجل: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراًO [2].

2: الطمع في تحصيل الثواب

قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينِ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَO[3].

3: حب الله عزوجل

قال عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِO[4].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌO [5].

وقال تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ

---

(1) سورة الرعد: 21.
(2) سورة الإسراء: 57.
(3) سورة البقرة: 25.
(4) سورة البقرة: 165.
(5) سورة آل عمران: 31.

عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌO [1].

مصاديق للأخلاق المثالية

قال جل وعلا: Πفَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَO [2].

وقال تعالى: Πلاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماًO [3].

وقال سبحانه: Πوَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَO [4].

وقال عز وجل: Πيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌO [5].

---

(1) سورة المائدة: 54.
(2) سورة آل عمران: 159.
(3) سورة النساء: 148.
(4) سورة هود: 115.
(5) سورة الحجرات: 12.

من أخلاق الرسول الأعظمν

قال جل وعلا: Πفَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَO [1].

وقال تعالى: Πوَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَO [2].

وقال سبحانه: Πلَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌO [3].

وقال عز وجل: Πوَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍO[4].

من هدي السنة المطهرة

التقوى قوام الأخلاق

قال رسول اللهσ: Σأيها الناس، إن العربية ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم من آدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكمP[5].

وقال أمير المؤمنين A: Σ.. وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه، وحاجته من خلقه، فاتقوا الله الذي أنتم بعينه،

---

(1) سورة آل عمران: 159.
(2) سورة الأنبياء: 107.
(3) سورة التوبة: 128.
(4) سورة القلم: 4.
(5) تفسير القمي: ج2 ص322 سورة الحجرات.

ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضتهP[1].

وقال الإمام الصادق A: Σاتقوا الله وصونوا دينكم بالورعP[2].

وكتب أبو جعفر الباقر A إلى سعد الخير: Σبسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، فإن فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب، إن الله عز وجل يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهلة»[3].

دوافع العبادة: 1: الخوف من النار

قال علي بن الحسين A: Σفاشعروا قلوبكم ـ لله أنتم ـ خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوفكم من شديد العقابP[4].

2: الطمع في تحصيل الثواب

قال الإمام الصادق8: Σ.. وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراءP[5].

3: حب الله عز وجل

---

(1) نهج البلاغة، الخطب: 183 من خطبة لـه A في قدرة الله (عز وجل) وفي فضل القرآن، وفي الوصية بالتقوى الله تعالى.
(2) الكافي: ج2 ص76 باب الورع ح2.
(3) الكافي: ج8 ص52 باب رسالة أبي جعفر A إلى سعد الخير ح16.
(4) بحار الأنوار: ج75 ص143 ب21 ح6.
(5) الكافي: ج2 ص84 باب العبادة ح5.

فيما جاء في صحيفة إدريس8: Σطوبى لقوم عبدوني حباً، واتخذوني إلهاً ورباً، سهروا الليل ودأبوا النهار، طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنة، بل للمحبة الصحيحة والإرادة الصريحةP[1].

مصاديق للأخلاق السامية

قال رسول اللهν: Σيا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشرP[2].

وقال الإمام الباقر A: Σعليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من أئتمنكم عليها، براً كان أو فاجراًP[3].

وروي عن الإمام الرضا A عن آبائه % عن أمير المؤمنين A قال: Σقال رسول اللهν: عليكم بمكارم الأخلاق؛ فإن الله عز وجل بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعودهP[4].

وقال الإمام الصادق A في قول الله عز وجل: Πيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْO [5]: Σاصبروا على

(1) بحار الأنوار: ج92 ص467 الصحيفة العشرون صحيفة المحبة...
(2) الكافي: ج2 ص103 باب حسن البشر ح1.
(3) تحف العقول: ص299 ما روي عنه A في قصار هذه المعاني.
(4) الأمالي، للشيخ الطوسي6: ص477 المجلس17 ح11.
(5) سورة آل عمران: 200.

المصائبP[1].

من أخلاق الرسول الأعظمν

قال الإمام الصادق A: Σما صافح رسول الله ν رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منهP[2].

وقال A: Σكان رسول الله ν أكثر ما يجلس تجاه القبلةP[3].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول اللهν إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[4].

وعن أبي الحميساء قال: بايعت النبيν قبل أن يبعث، فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد، فأتيته يوم الثالث فقالν: Σيا فتى، لقد شققت عليّ؛ أنا ها هنا منذ ثلاثة أيامP[5].

وعن أنس بن مالك قال: إن النبي ν أدركه أعرابي فأخذ بردائه، فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ν وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال له: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ν فضحك، وأمر له بعطاء[6].

---

(1) وسائل الشيعة: ج3 ص256 ب76 ح3563.
(2) الكافي: ج2 ص182 باب المصافحة ح15.
(3) مكارم الأخلاق: ص26 في جلوسه o وأمر أصحابه في آداب الجلوس.
(4) مكارم الأخلاق: ص19 في الرفق بأمته o.
(5) مستدرك الوسائل: ج8 ص460 ب92 ح10005.
(6) بحار الأنوار: ج16 ص230 ب9 ضمن ح35.

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ν حييا لا يسأل شيئا إلا أعطاه. وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ν أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه[1].

الفهرس

كلمة الناشر 3
الإنسان الحقيقي 6
من مصاديق الخلق العظيم 10
التقوى قوام الأخلاق 11
الشيعة والأخلاق المثالية 15
من صفات الشيعة 22
الشيعة في يوم القيامة 34
حب أهل البيت % والعمل 37
التقوى والقانون 41
العبادة والتقوى 44
من أخلاق الرسول الأعظم o 50
عفو رسول الله o 51
تواضع النبي الأعظم 9 54
الأخلاق الإسلامية 59
نماذج أخلاقية 62
الإمام الحسين 8 وتعامله مع الشامي 63

(1) بحار الأنوار: ج16 ص230 ب9 ضمن ح35.

الإمام موسى بن جعفر 8 ورجل من ولد عمر 68
صور من الخلق المثالي 70
العلماء الأبرار 74
من هدي القرآن الحكيم 82
من هدي السنة المطهرة 86
الفهرس 90